

الْحُلَلُ الزَّاهِرَةُ

شَرْحُ مَنْظُومَةٍ

السَّيْرُ إِلَى اللّٰهِ وَاللَّائِلُ الْآخِرَةُ

الطبعة الأولى ١٤٤٣ هـ - ٢٠٢١ م

حقوق الطب مع محفوظات

مكتبة

بشائر الخير

للطباعة والنشر والتوزيع

اليمن - صنعاء

ذهبان - خلف مستشفى الهلال

جوال / ٠٠٩٦٧٧٧٣٨٨٨٤٣٨

البريد الإلكتروني:

Alhijaji10@gmail.com

الْجُلُوسُ الزَّاهِرَةُ

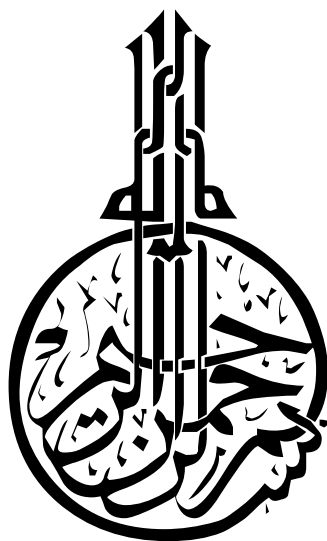
شَرْحُ مَنْظُومَةٍ

السَّيْرُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّارِ الْآخِرَةُ

تَأَلَّفَ الْعَلَّامَةُ الشَّيْخُ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ تَائِصٍ السَّعْدِيُّ
١٣٠٧ هـ - ١٣٧٦ هـ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى

شَرْحُ

أَبِي عَامِرٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ الْحَكَمِيِّ
وَأُمِّ عَامِرٍ الْمَرْوَعِيَّةِ



مُقَدِّمَةُ الْكِتَابِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ونصلي ونسلم على المبعوث رحمة للعالمين .

أما بعد :

فإنَّه أولى ما يتنافسُ به المتنافسون، وأخرى ما يتسابقُ في حلبة سباقه المتسابقون، ما كانَ بسعادة العبد في معاشه ومعاده كفيلاً، وعلى طريق هذه السعادة دليلاً، وذلك العلمُ النَّافعُ، والعملُ الصَّالحُ اللَّذَانِ لا سعادة للعبدِ إلَّا بهما، ولا نجاةَ له إلَّا بالتَّعلُّقِ بسببهما، فمن رُزِقَهُمَا فقد فازَ وغَنِمَ، ومن حُرِمَهُمَا فالخِیرَ كُلَّهُ حُرِمَ. فإنَّ اللهَ قد جعل لكلِّ مطلوبٍ سبباً وطريقاً يوصلُ إليه. والإيمان هو أعظم المطالب وأهمها. وقد جعل الله له أسباباً تجلبه وتقويه، كما كان له أسباب تُضعفه وتُوهيه. ومن أعظم ما يُقوِّي الإيمان ويَجلبُه معرفة الأسباب التي يسير العبد بها إلى ربه والدار الآخرة، التي تضمنت بعضها أبيات هذه المنظومة المباركة وهي :

"السَّيْرِ إِلَى اللَّهِ وَالْدارِ الْآخِرَةِ"

للإمام العلامة : "أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ نَاصِرٍ السَّعْدِيُّ" رَحِمَهُ اللَّهُ.

«وهي منظومة تتكون من ثمانية عشر بيتاً، وله تعليق على هذه المنظومة طبع معها،

وفرغ منها العلامة السعدي في ٣ شعبان سنة ١٣٣٣ هـ.»

[راجع كتاب «الشيخ السعدي وجهوده في توضيح العقيدة» (ص ٥٧).]

وهذه الأبيات :

تكلمت على بعض الصفات والخصال التي يلزم العناية بها، لمن يريد السير إلى الله سبحانه وتعالى والدار الآخرة، وهي مختصرة،

ومما لاشك فيه أن من أراد السير إلى الله والدار الآخرة أمامه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فهما كافيان في بيان ذلك،

وما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى: لاشك أنه إنما اقتبسه من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، واستفاد أيضا ممن تكلم عنها من الأئمة السابقين رحمهم الله أجمعين .

وقد يسر الله لأمر تدرّيس هذه المنظومة في ديارنا اليمنية، ثم تدرّسها في رحلتنا للديار المصرية لبعض الطالبات عن طريق الهاتف.

فاستخرنا الله في إخراج شرح مختصر أعليها ، لعل الله أن ينفع به فيسر الله الأسباب ويسر المراد فله الحمد والمنة.

وأسميناه: "الحلل الزاهرة شرح منظومة السير إلى الله والدار الآخرة"

وأخيراً: نحمد الله سبحانه أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً - فهو المستحق للشكر دائماً- إذ أعاننا على كتابة هذا البحث وهياً لنا أسبابه،

فله الحمد كما ينبغي لجلاله وعظيم سلطانه .

واستناداً للحديث الصحيح:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ » أخرجه أبو داود والترمذي وأحمد.

نتقدم بالشكر لكل من تسبب وتعاون في إخراج هذا الشرح سواء بمشورة أو بتنبية أو بمعونة وإفادة، أو بالحث على طبعه وإخراجه.
فجزا الله الجميع خيراً وجعلهم شركاء في أجره ونفعه إنه ولي ذلك والقادر عليه.
ونسأل الله تعالى أن يجعل عملنا هذا وسائر أعمالنا خالصة لوجهه الكريم نافعاً لنا وللمسلمين في الدارين، إِنَّهُ تَعَالَى سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبٌ،
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.
بفضل الله تعالى تم الإنتهاء والفراغ من كتابته في:

ليلة الجمعة ٣ / من شهر صفر لعام ١٤٤٣ هـ

القاهرة - مصر حرسها الله

وسائر بلاد المسلمين

كتبه :

أبو عامر عبدالله بن أحمد الحكي

وأم عامر المروعية

غفر الله لهما وللمسلمين

ترجمة مختصرة للإمام السعدي رحمته الله

اسمه :

هو العلامة الورع الزاهد تذكرة السلف الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله آل سعدي الناصري التميمي الحنبلي.

مولده :

ولد في مدينة عنيزة بالقصيم سنة "ألف وثلاثمائة وسبع من الهجرة"

ونشأته :

وتوفيت أمه وله أربع سنين ثم توفي والده وهو في الثانية عشرة من عمره فعطفت عليه زوجة والده وصارت تشفق عليه أشد من شفقتها على أولادها وكذلك أخوه محمد عطف عليه فنشأ الشيخ نشأة حسنة فدخل مدرسة تحفيظ القرآن فحفظه وهو في الحادية عشرة من عمره وحفظه عن ظهر قلب وهو في الرابعة عشرة من عمره.

بعد حفظه القرآن نظرا وعن ظهر قلب اشتغل بطلب العلم، فقرأ على علماء عصره في نجد التوحيد والتفسير والفقه وأصوله والنحو، وقرأ في التفسير والحديث ومصطلح الحديث على بعض الشناقطة أثناء إقامتهم بمدينة عنيزة.

جلوسه للتدريس :

ولما بلغ من العمر ثلاثا وعشرين سنة جلس للتدريس فكان يتعلم ويعلم ويقضي أوقاته في ذلك، وفي الاكباب على مطالعة مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية ومؤلفات تلميذه ابن القيم بتمعن وتفهم فانتفع بهذه المؤلفات غاية الانتفاع.

وفي عام ألف وثلاثمائة وخمسين من الهجرة انتهت إليه المعرفة التامة ورئاسة العلم في القصيم فاشتهر علمه وارتفع قدره فأقبل أهل ناحية القصيم على القراءة عليه وتلقي العلوم والمعارف عنه.

تلامذته :

أخذ عنه العلم خلق كثير من أشهرهم:

- ١ _ الشيخ محمد بن صالح آل عثيمين خليفة شيخه على إمامة الجامع بعنيزة.
- ٢ _ الشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع تولى القضاء في المجمععة ثم في عنيزة.
- ٣ _ الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام عضو هيئة التمييز بالمنطقة الغربية.
- ٤ _ الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل عضو الإفتاء ورئيس الهيئة العلمية المستقلة بعد وفاة سماحة رئيس القضاة.

مؤلفاته :

ألف مؤلفات كثيرة نافعة نذكر منها ما يأتي:

- ١ _ تفسير القرآن الكريم المسمى "تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن" ثمانية مجلدات ١. وقد فرغ من إكمال تأليفه عام ١٣٤٤ هـ طبع بالمطبعة السلفية بمصر.
- ٢ _ إرشاد أولي البصائر والألباب لمعرفة الفقه بأقرب الطرق وأيسر الأسباب مربية على طريقة السؤال والجواب.
- ٣ _ القواعد الحسان لتفسير القرآن.
- ٤ _ منظومة في القواعد الفقهية.
- ٥ _ الدرة المختصرة في محاسن الإسلام.

٦_ شرح كتاب التوحيد .

٧_ القواعد الحسان لتفسير القرآن.

٨_ منظومة السير إلى الله والدار الآخرة مع شرحها.

وغير ذلك من المؤلفات والشروح والمنظومات النافعة نسأل الله أن يجزيه عن الإسلام والمسلمين خيراً.

مرضه ووفاته :

أصيب عام ١٣٧١هـ بمرض ضغط الدم وضيق الشرايين وكانت أعراضه تبدو بعض الساعات في الكلام فيقف ولو كان يقرأ القرآن، ثم يتكلم ويرجع كعادته فسافر إلى لبنان عام ١٣٧٢ للعلاج ثم عاد للدعوة إلى الله والتدريس، ثم عاوده المرض فلما كان في شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٧٦هـ أحس بالذي فيه وكان معه مثل البرد والقشعريرة وفي ليلة الأربعاء ٢٢ من الشهر المذكور عام ١٣٧٦ بعد فراغه من الدرس المعتاد العمومي الذي يشبه محاضرة من المحاضرات والذي كان يقوم بإلقائه على الجماعة في المسجد بعد فراغه من هذا الدرس أحس بثقل وضعف حركة بعد الصلاة وفراغها فذهب به إلى داره فلم يصل إلى داره إلا وقد أغمي عليه وبعد ذلك أفاق _ رَحِمَهُ اللهُ _ وأثنى على الله وحمده وتكلم مع الحاضرين بكلام حسن طيب ثم عاوده الإغماء فلم يتكلم بعد ذلك. فلما أصبحوا صباح الأربعاء دعوا الطبيب فقرر أنه مصاب بنزيف في المخ فتوفي _ رَحِمَهُ اللهُ _ قبل فجر يوم الخميس الموافق ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٦هـ

الصلاة عليه :

فأصيب الناس لموته فانهمرت الدموع ووجفت القلوب وصلى عليه الناس بعد صلاة ظهر يوم الخميس في حشد عظيم لم يشهد في عنيزة له مثل فامتلاً الجامع بالمصلين والمشييعين، وانهمرت العيون بالدموع وانطلقت الألسن بالترحم عليه والدعاء له بالمغفرة والرضوان،

فلما صلي عليه، حملوه فوق الأعناق بزحام شديد إلى مقبرة الشهوانية المعروفة بمدينة عنيزة.

فبعد ذلك هتفت التعازي بالبرقيات من المعزين من جميع الجهات ورثي بمرثيات كثيرة يصعب عدّها .

وخلف ثلاثة أبناء هم :

عبد الله، ومحمد، وأحمد. غفر الله للشيخ المترجم عبد الرحمن بن سعدي ورحمه وعفا عنه فانه كان من العلماء العاملين الورعين وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين. اهـ مختصراً من كتاب مشاهير علماء نجد (١/٢٥٦).

"سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك."

نص المنظومة

«السَّيْرُ إِلَى اللَّهِ وَالِدَارِ الْآخِرَةِ»

- ١- سَعِدَ الَّذِينَ تَجَنَّبُوا سُبُلَ الرَّدَى
 - ٢- فَهُمْ الَّذِينَ قَدْ أَخْلَصُوا فِي مَشِيهِمْ
 - ٣- وَهُمْ الَّذِينَ بَنَوْا مَنَازِلَ سَيْرِهِمْ
 - ٤- وَهُمْ الَّذِينَ مَلَأُوا قُلُوبَهُمْ
 - ٥- وَهُمْ الَّذِينَ أَكْثَرُوا مِنْ ذِكْرِهِ
 - ٦- يَتَقَرَّبُونَ إِلَى الْمَلِكِ بِفِعْلِهِمْ
 - ٧- فِعْلُ الْفَرَائِضِ وَالنَّوَافِلِ دَأْبُهُمْ
 - ٨- صَبَرُوا النَّفُوسَ عَلَى الْمَكَارِهِ كُلِّهَا
 - ٩- نَزَلُوا بِمَنْزِلَةِ الرِّضَى فَهُمْ بِهَا
 - ١٠- شَكَرُوا الَّذِي أَوْلَى الْخَلَائِقَ فَضْلَهُ
 - ١١- صَحِبُوا التَّوَكُّلَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ
 - ١٢- عَبَدُوا إِلَهَهُ عَلَى اعْتِقَادِ حُضُورِهِ
 - ١٣- نَصَحُوا الْخَلِيقَةَ فِي رِضَى مَحْبُوبِهِمْ
 - ١٤- صَحِبُوا الْخَلَائِقَ بِالْجُسُومِ وَإِنَّمَا
 - ١٥- رَاعُوا الْحَقَائِقَ وَالْمَشَاهِدَ كُلِّهَا
 - ١٦- عَزَفُوا الْقُلُوبَ عَنِ الشَّوَاعِلِ
 - ١٧- حَرَكَاتِهِمْ وَهُمُومُهُمْ وَعَزُومُهُمْ
 - ١٨- نِعِمَ الرَّفِيقُ لِطَالِبِ السُّبُلِ الَّتِي
- وَيَمَّمُوا لِمَنَازِلِ الرِّضْوَانِ
مُتَشَرِّعِينَ بِشَرْعَةِ الْإِيمَانِ
بَيْنَ الرَّجَا وَالْخَوْفِ لِلدِّيَانِ
بِوَدَادِهِ وَحُبِّهِ الرَّحْمَانِ
فِي السِّرِّ وَالْإِعْلَانِ وَالْأَحْيَانِ
طَاعَاتِهِ وَالتَّوَكُّلِ لِلْعُضْيَانِ
مَعَ رُؤْيَا التَّقْصِيرِ وَالتَّقْصَانِ
شَوْقًا إِلَى مَا فِيهِ مِنْ إِحْسَانِ
قَدْ أَصْبَحُوا فِي جُنَّةٍ وَأَمَانِ
بِالْقَلْبِ وَالْأَقْوَالِ وَالْأَرْكَانِ
مَعَ بَذْلِ جُهْدٍ فِي رِضَى الرَّحْمَانِ
فَتَبَوَّعُوا فِي مَنْزِلِ الْإِحْسَانِ
بِالْعِلْمِ وَالْإِرْشَادِ وَالْإِحْسَانِ
أَرْوَاحُهُمْ فِي مَنْزِلِ فَوْقَانِي
خَوْفًا عَلَى الْإِيمَانِ مِنْ نُقْصَانِ
قَدْ فَرَّغُوا مِنْ سِوَى الرَّحْمَانِ
لِللَّخْلِيقِ وَالشَّيْطَانِ
تَفْضِي إِلَى الْخَيْرَاتِ وَالْإِحْسَانِ

شرح عنوان المنظومة

"السير إلى الله والدار الآخرة"

قول الناظم : (السير)

قال ابن فارس في مقاييس اللغة (٣/ ١٢٠):

السَّيْرُ وَالْيَأْ وَالرَّاءُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى مُضِيِّ وَجَرَيَانٍ، يُقَالُ سَارَ يَسِيرُ سَيْرًا.
فالسير يطلق على معان منها السير الطويل الأمد، أو السريع.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ

[الأنعام: ١١]

فالسير: يحتاج إلى السعي، والسعي أسرع من المشي؛

والمشي: يطلق على الحركة ببطء وتؤدة فالدنيا تحتاج إلى مشي، كما قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥]

وأما الآخرة فتحتاج منا إلى سير وسعي ومسارعة ومسابقة.

قول الناظم : (إلى الله والدار الآخرة)

للسير إلى الله والدار الآخرة شُعب كثيرة جداً، وقد ذكر الناظم جملة مفيدة منها.

وفي هذا إشارة أن المؤمن في هذه الدنيا في سفر إلى الله والدار الآخرة فينبغي عليه أن يعد العدة والزاد لقطع هذه الرحلة ومن أعظم العدة والزاد لهذه الرحلة هذه المنازل.

الْجُلُلُ الزَّاهِرَةُ

وقد جاء في صحيح البخاري: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ».

قال ابن بطال في شرح صحيح البخاري (٩٧ / ١):

فشبه الإنسان في الدنيا بالمسافر، وكذلك هو على الحقيقة؛ لأن الدنيا دار نقلة وطريق إلى الآخرة، فنبه أمته أن يغتنموا أوقات فرصتهم وفراغهم، والله الموفق. اهـ

قال ابن القيم في مدارج السالكين (١٩٠ / ٣)

فَإِنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ فِي هَذِهِ الدَّارِ غُرَبَاءُ، فَإِنَّهَا لَيْسَتْ لَهُمْ بِدَارٍ مَقَامٍ، وَلَا هِيَ الدَّارُ الَّتِي خُلِقُوا لَهَا، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ».

وَلِي مِنْ أَيْبَاتٍ فِي هَذَا الْمَعْنَى:

وَحَيَّ عَلَى جَنَاتٍ عَدْنٍ فَإِنَّهَا	مَنَازِلُكَ الْأُولَى وَفِيهَا الْمُخِيمُ
وَلَكِنَّا سَبِيُّ الْعَدُوِّ فَهَلْ تَرَى	نَعُودُ إِلَى أَوْطَانِنَا وَنُسَلِّمُ
وَأَيُّ اغْتِرَابٍ فَوْقَ غُرْبَتِنَا الَّتِي	لَهَا أَضْحَتِ الْأَعْدَاءُ فِينَا تَحْكُمُ
وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الْغَرِيبَ إِذَا نَأَى	وَشَطَّتْ بِهِ أَوْطَانُهُ لَيْسَ يَنْعَمُ
فَمِنْ أَجْلِ ذَا لَا يَنْعَمُ الْعَبْدُ سَاعَةً	مِنَ الْعُمُرِ إِلَّا بَعْدَ مَا يَتَأَلَّمُ

وَكَيْفَ لَا يَكُونُ الْعَبْدُ فِي هَذِهِ الدَّارِ غَرِيبًا، وَهُوَ عَلَى جَنَاحِ سَفَرٍ، لَا يَحِلُّ عَنْ رَاحِلَتِهِ إِلَّا بَيْنَ أَهْلِ الْقُبُورِ؟ فَهُوَ مُسَافِرٌ فِي صُورَةِ قَاعِدٍ. اهـ

المنزلة الأولى من منازل السائرين إلى الله

منزلة الابتعاد عن سُبُل الضلال والغواية ، واتباع طرق النعيم والهداية

١ - سَعِدَ الَّذِينَ تَجَنَّبُوا سُبُلَ الرَّدَى وَتَيَمَّمُوا لِمَنَازِلِ الرِّضْوَانِ
الشيخ

بهذا البيت افتتح الناظم هذه المنظومة المباركة وأن من منازل السائرين إلى الله ومن أسباب سعادتهم:

الابتعاد عن سُبُل الضلال والغواية ، واتباع طرق النعيم والهداية.

قول الناظم : «سَعِدَ» :

أي: نال السعادة، والسعادة هي خلاف الشقاوة، أو من "السُعدِ" وهو "اليُمن والخير"

قال الشيخ العثيمين رحمته الله في «الفتاوى»:

"الشَّقَاءُ هُوَ الْحَيَبَةُ وَعَدَمُ إِدْرَاكِ الْأَمَالِ، وَالسَّعَادَةُ هِيَ النَّجَاةُ وَالْفَلَاحُ وَحُصُولُ الْأَمَلِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَالشَّقِيُّ فِي الدُّنْيَا شَقِيٌّ فِي الْآخِرَةِ، وَالسَّعِيدُ فِي الدُّنْيَا سَعِيدٌ فِي الْآخِرَةِ". اهـ

أهمية هذه المنزلة :

قال العلامة السعدي في تعليقه على المنظومة: هذا هو أصل طريقهم، وقاعدة سير فريقهم، أنهم تجنبوا طرق الخسران، وتيمموا منازل الرضوان. اهـ

بعض أسباب نيل السعادة :

١- العمل الصالح : الدليل قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

قال ابن القيم في الجواب الكافي (ص: ١٢٠):

وَاللّٰهُ تَعَالٰى إِنَّمَا جَعَلَ الْحَيَاةَ الطَّيِّبَةَ لِمَنْ آمَنَ بِهِ وَعَمِلَ صَالِحًا، فَضَمِنَ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ الْجَزَاءَ فِي الدُّنْيَا بِالْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ، وَالْحُسْنَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَهُمْ أَطْيَبُ الْحَيَاتَيْنِ، فَهُمْ أَحْيَاءٌ فِي الدَّارَيْنِ.

فَفَارَ الْمُتَّقُونَ الْمُحْسِنُونَ بِنَعِيمِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَحَصَلُوا عَلَى الْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ فِي الدَّارَيْنِ،

فَإِنَّ طَيْبَ النَّفْسِ، وَسُرُورَ الْقَلْبِ، وَفَرَحَهُ وَلَذَّتَهُ وَابْتِهَاجَهُ وَطُمَأْنِينَتَهُ وَانْشِرَاحَهُ وَنُورَهُ وَسَعَتَهُ وَعَافِيَتَهُ مِنْ تَرْكِ الشَّهَوَاتِ الْمُحَرَّمَاتِ، وَالشُّبُهَاتِ الْبَاطِلَةِ - هُوَ النَّعِيمُ عَلَى الْحَقِيقَةِ، وَلَا نِسْبَةَ لِنَعِيمِ الْبَدَنِ إِلَيْهِ.

فَقَدْ كَانَ يَقُولُ بَعْضُ مَنْ ذَاقَ هَذِهِ اللَّذَّةَ: "لَوْ عَلِمَ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ مَا نَحْنُ فِيهِ جَالِدُونََا عَلَيْهِ بِالسُّيُوفِ".

وَقَالَ آخَرُ: إِنَّهُ لَيَمُرُّ بِالْقَلْبِ أَوْقَاتٌ أَقُولُ فِيهَا: "إِنْ كَانَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي مِثْلِ هَذَا، إِنَّهُمْ لَفِي عَيْشٍ طَيِّبٍ". اهـ.

٢- ومن أسباب السعادة التي بينها النبي ﷺ الإخلاص :

جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه في [الصحيحين]، أنه قال يا رسول الله: من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟

قال رسول الله ﷺ: «لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة، من قال لا إله إلا الله، خالصاً من قلبه، أو نفسه».

قال ابن حجر في فتح الباري (١١ / ٤٤٣):

فأسعد الناس بهذه الشفاعة من يكون إيمانه أكمل ممن دونه وأما الشفاعة العظمى في الإراحة من كرب الموقف فأسعد الناس بها من يسبق إلى الجنة وهم الذين يدخلونها بغير حساب ثم الذين يلونهم.

وهو من يدخلها بغير عذاب بعد أن يحاسب ويستحق العذاب ثم من يصيبه لفتح من النار ولا يسقط،

والحاصل أن في قوله "أسعد" إشارة إلى اختلاف مراتبهم في السبق إلى الدخول باختلاف مراتبهم في الإخلاص

ولذلك أكد به بقوله: "من قلبه" مع أن الإخلاص محله القلب. اهـ

فإذن: الإخلاص وتوحيد الله سبحانه وتعالى من أعظم أسباب السعادة، ولا ينال التوحيد إلا بالعلم، فهذا الحديث فيه بيان سبب السعادة وأهل السعادة.

من علامة أهل السعادة ؟

جاء في حديث علي ابن أبي طالب عليه السلام قال رسول صلى الله عليه وآله وسلم : كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الْعَرْقَدِ، فَأَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم، فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ، وَمَعَهُ مَخْضَرَةٌ، فَكَسَّ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمَخْضَرَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ وَمَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا قَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةٌ أَوْ سَعِيدَةٌ».

قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدْعُ الْعَمَلَ؟ فَمَنْ كَانَ مِنَّْا مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ، فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنَّْا مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ، فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ،

قَالَ صلى الله عليه وآله وسلم: «أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاءِ» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَكَى ﴿٥﴾ وَصَدَقَ بِالْحَقِّ ﴿٦﴾﴾ [الليل: ٥] أخرجه البخاري ومسلم.

فدل الحديث أن من علامة سعادة العبد :

أن تكون الأعمال الصالحة ميسرة له فعلها وسهلة عليه وحبية إلى قلبه، فهذه دلالة على أنه من أهل السعادة،

ومتى ما رأى من نفسه نفوراً وإعراضاً عن العمل الصالح، وكسلاً في أداء العبادات ومحبة للمعصية وفعلها، فهذه دلالة على أنه من أهل الشقاوة إن لم يتداركه الله برحمته. والله أعلم

قال النازم: "سعد الذين تجنبوا سبل الردى"

«سُبل»: أي: الطريق والطريق إلى الله في الحقيقة واحد لا تعدد فيه وهو صراطه المستقيم.

وقال ابن القيم رحمه الله في: اجتماع الجيوش (٢/ ٦٦):

فإن الحق واحد وهو صراط الله المستقيم الذي لا صراط يؤصل إليه سواه ..

قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ

عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٥٣) [الأنعام: ١٥٣]

فَجَمَعَ سُبُلَ الْبَاطِلِ وَوَحَّدَ سَبِيلَهُ الْحَقِّ وَلَا يُنَاقِضُ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَهْدِي بِهِ

اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾ [المائدة: ١٦]

فإن تلك هي طرق مرصاته التي يجمعها سبيله الواحد وصراطه المستقيم، فإن

طرق مرصاته كلها ترجع إلى صراط واحد وسبيل واحد، وهي سبيله التي لا

سبيل إليه إلا منها،

وقد صحَّ عن عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه: قال خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً ثم

قال: هذا سبيل الله، ثم خطَّ خطوطاً عن يمينه وعن شماله، وقال: «هذه السُّبُلُ

على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي

مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٥٣) . اهـ الحديث رواه أحمد وحسنه الألباني.

قَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَّاضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: "اتَّبِعْ طُرُقَ الْهُدَى وَلَا يَضُرَّكَ قِلَّةُ السَّالِكِينَ وَإِيَّاكَ وَطُرُقَ الضَّلَالَةِ وَلَا تَعْتَزَّ بِكَثْرَةِ الْهَالِكِينَ". ذكره الشاطبي في الاعتصام (٨٣ / ١).

قال الناظم: «وَتَيَمَّمُوا لِمَنَازِلِ الرِّضْوَانِ».

"تَيَمَّمُوا": التيمم في الغة: القصد .

أي: قصدوا الطريق الموصلة لرضا الله تعالى، وبحثوا عن هذا الطريق الموصل لرضوان الله سبحانه وتعالى، وأعلى الجنان .

قول الناظم: « لِمَنَازِلِ الرِّضْوَانِ ».

منازل الرضوان: هي الجنان؛ وسميت بذلك لأنه لا يسكنها إلا من رحمته، ولأن سكانها في غاية الرضى لما هم فيه من نعيم .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة: ٧٢)

قال ابن كثير رحمته في تفسيره:

أَي رِضَا اللَّهِ عَنْهُمْ أَكْبَرُ وَأَجَلُّ وَأَعْظَمُ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ، كَمَا قَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ رحمته عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رحمته، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ. فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟

فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَىٰ يَا رَبُّ وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ:
 أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ يَا رَبُّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟
 فَيَقُولُ: أَحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا» متفق عليه.

فائدة :

طرق الشيطان وسبله وخطواته كثيرة ومتعددة ومنها:

قال ابن القيم رحمه الله في بدائع الفوائد (٢/ ٢٦٠):

ينحصر شره في ستة أجناس لا يزال بابن آدم حتى ينال منه واحدا منها أو أكثر
 الشر:

الأول: شر الكفر والشرك ومعاداة الله ورسوله فإذا ظفر بذلك من ابن آدم برد
 أنينه واستراح من تعبته معه وهو أول ما يريد من العبد فإذا يئس منه نقله إلى :

- المرتبة الثانية من الشر: وهي البدعة وهي أحب إليه من الفسوق والمعاصي لأن
 ضررها في نفس الدين.

فإن أعجزه من هذه المرتبة نقله إلى:

- المرتبة الثالثة من الشر: وهي الكبائر على اختلاف أنواعها فهو أشد حرصا على
 أن يوقعه فيها.

فإن عجز الشيطان عن هذه المرتبة نقله إلى:

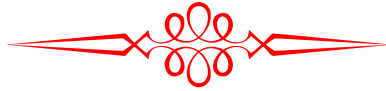
- المرتبة الرابعة: وهي الصغائر التي إذا اجتمعت فربما أهلك صاحبها.

فإن أعجزه العبد من هذه المرتبة نقله إلى:

- المرتبة الخامسة: وهي إشغاله بالمباحات التي لا ثواب فيها ولا عقاب بل عاقبتها فوت الثواب الذي ضاع عليه باشتغاله بها.

فإن أعجزه العبد من هذه المرتبة وكان حافظاً لوقته شحيحاً به يعلم مقدار أنفاسه وانقطاعها وما يقابلها من النعيم والعذاب نقله إلى:

- المرتبة السادسة: وهو أن يشغله بالعمل المفضول عما هو أفضل منه ليزيح عنه الفضيلة ويفوته ثواب العمل الفاضل فيأمره بفعل الخير المفضول ويحضه عليه ويحسنه له إذا تضمن ترك ما هو أفضل وأعلى منه وقل من يتنبه لهذا من الناس. اهـ مختصراً



المنزلة الثانية والثالثة من منازل السائرين إلى الله

منزلة الإخلاص لله، والإتباع لهدى رسول الله ﷺ

٢- فَهُمْ الَّذِينَ قَدْ أَخْلَصُوا فِي مَشِيهِمْ مُتَشَرِّعِينَ بِشِرْعَةِ الْإِيمَانِ

الشَّيْخ

ذكر الناظم في هذا البيت منزلتان من منازل السائرين إلى الله بل هي من أهم منازل السائرين إلى الله والدار الآخرة .

المنزلة الأولى: **منزلة الإخلاص لله تعالى.**

والمنزلة الثانية: **الاتباع لهدى رسول الله ﷺ**

قال ابن القيم في إعلام الموقعين (٢/ ١٢٤):

فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعِبَادِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا " وَالْأَعْمَالُ أَرْبَعَةٌ: وَاحِدٌ مَقْبُولٌ، وَثَلَاثَةٌ مَرْدُودَةٌ؛ فَاَلْمَقْبُولُ مَا كَانَ لِلَّهِ خَالِصًا وَلِللِّسَنَةِ مُوَافِقًا، وَالْمَرْدُودُ مَا فَقَدَ مِنْهُ الْوُضُفَانِ أَوْ أَحَدَهُمَا. اهـ

قول الناظم: (فهم الذين قد أخلصوا في مشيهم)

الكلام على صفة (الإخلاص لله) في مسائل منها .

تعريف الإخلاص:

لغة: هو تصفية الشيء من كل ما يشوبه.

وحقيقة الإخلاص لله:

هو أن يريد العبد بعمله وجه الله والتقرب إليه تعالى وحده، فلا رياء ولا سمعه ولا مصالح دنيوية، إنما يرجو ثواب الله ويخشى عقابه. (راجع مدارج السالكين)

الأدلة على وجوب الإخلاص في طاعة الله وعبادته :

قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا

الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ۝﴾ [البينة: ٥]

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ۝﴾

[الزمر: ٢]

والآيات كثيرة جداً.

- وأما من السنة :

حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:

« إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَلِكُلِّ أَمْرٍ مَانَوِي، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ ».

هذا الحديث عدّه أهل العلم نصف الدين.

ثمرات الإخلاص :

١ - الإخلاص يقلب المباحات إلى طاعات :

الدليل: روى البخاري رحمه الله ، عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه أَنَّهُ أَخْبَرَهُ: أَنَّ رَسُولَ

اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ، إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فِي أَمْرٍ أَتَكَ».

وايضاً عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ: «إِذَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ

يَحْتَسِبُهَا فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ». متفق عليه.

٢- الإخلاص والنية الخالصة تبلغ بصاحبها مبلغ العمل، وإن عجز عن العمل:

الدليل: حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ» رواه مسلم .

ومن الأدلة: ما جاء في صحيح البخاري: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم رَجَعَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَدَنَا مِنَ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: «إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلَا قَطَعْتُمْ وَاِدِيًّا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟ قَالَ: «وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ حَبَسَهُمُ الْعُدْرُ».

٣- أن الإخلاص لله يخلص العبد من كيد الشيطان:

الدليل: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى حَاكِياً عَنْ يُوسُفَ عليه السلام: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤] فصرف الله عنه كيد الشيطان لإخلاصه .

وقوله تعالى عن الشيطان الرجيم: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا غَوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [٨٢] إِلَّا عِبَادَكَ

مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ [ص: ٨٢-٨٣]

وهذا قسم من الشيطان على عجزه عن إغواء العبد المخلص .

٤- أن الإخلاص سبب في تنفيس الكرب :

الدليل : ما جاء في حديث أصحاب الغار، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «انْطَلَقَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَتَّى أَوْوَا الْمَيْتَ إِلَى

الْجَبَلُ الزَّاهِرَةُ

غَارٍ فَدَخَلُوهُ، فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ، فَقَالُوا : إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ». الحديث متفق عليه.

وقوله : (اخلصوا في مشيهم)

إشارة إلى جدهم واجتهادهم فهم ماشين سائرين ماثبين ليسوا بجالسين.

قول الناظم : (متشرعين بشرعة الإيمان)

في هذا الشطر من البيت المنزلة الثانية من منازل السائرين إلى الله والسبب الثاني من أسباب قبول العمل .

وهو: المتابعة والتأسي بالنبي ﷺ.

الأدلة على وجوب المتابعة :

من القرآن :

قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ

شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ [الحشر: ٧]

وقوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ

أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ [النور: ٦٣]

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ

وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ [الأحزاب: ٢١]

ومن السنة :

ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا

مَنْ أَبَى». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ

عَصَانِي فَقَدْ أَبَى». رواه البخاري

وجاء عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» متفق عليه .

وفي رواية لمسلم، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»

شمار متابعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم

١- الحصول على الهداية :

الدليل : قوله تعالى ﴿وَإِنْ تَطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلُغُ أَلْمِيثُ﴾ [النور: ٥٤]

٢- الأمن والنجاة يوم القيامة :

الدليل : قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ^٥ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]

٣- الفوز العظيم في الدنيا والآخرة

والدليل : قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١]

٤- نيل محبة الله عز وجل :

الدليل : قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]

وهذه هي آية الامتحان، والاختبار لمن ادعى محبة الله عز وجل .

فائدة : قد جاءت الأدلة في بيان خسارة من أراد بعمله الصالح أمر من أمور الدنيا، وحبوط عمله .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ (١٥) **أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطِلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴿١٦﴾ [هود: ١٥-١٦]

وجاء عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه» أخرجه مسلم.

وجاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - قال: «من تعلم علماً ما يُتبع به وجه الله - عز وجل - لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة» يعني ربحها. أخرجه أبو داود وابن ماجه وصححه الألباني.

حالات الرياء مع العبادة:

أن يقصد بالعمل من أول أمره غير الله: كمن صلى من أول أمره مراعاة للناس، ولم يقصد بصلاته وجه الله.

[فهذا عمله فاسد باطل.]

من طرأ عليه الرياء أثناء العبادة ثم دافع الرياء:

[فانه لا يوثر على عبادته وصلاته صحيحة.]

من طرأ عليه الرياء أثناء العبادة ثم استرسل بالرياء حتى أكمل العمل :

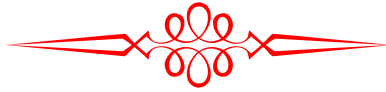
كمن قام يصلي ركعتين مخلصاً لله، وفي الركعة الثانية طراً عليه الرياء، لإحساسه بشخص ينظر إليه، ثم استرسل مع هذا الرياء، ولم يدفعه.

[تبطل عبادته كلها إذا كان أولها مرتبطاً بآخرها، كالصلاة بعضها مرتبط ببعض، بخلاف الصدقة].

[راجع إعلام الموقعين (٢/ ١٢٤)، وجامع العلوم والحكم: الحديث الأول].

تنبيه: ليس من الرياء أن يفرح الإنسان بفعل الطاعة في نفسه، فذلك يدل على إيمانه؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَذَلِكُمُ الْمُؤْمِنُ». أخرجه أحمد من حديث عمر رضي الله عنه.

وليس من الرياء أن يفرح الإنسان بثناء الناس عليه وعلمهم بعبادته بعد فراغه منها؛ لأنَّ هذا إنما طراً بعد الفراغ من عبادته، [فهذا لا يؤثر] لحديث أبي ذر رضي الله عنه، قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ: «رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؟ قَالَ صلى الله عليه وسلم: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ». أخرجه مسلم.



المنزلة الرابعة والخامسة من منازل السائرين إلى الله

منزلة الرجاء ، والخوف

٣- وَهُمْ الَّذِينَ بَنَوْا مَنَازِلَ سَيْرِهِمْ بَيْنَ الرَّجَا وَالْخَوْفِ لِلدَّيَّانِ

الشرح

هذا البيت الثالث ذكر فيه الناظم منزلتين من منازل السائرين إلى الله وهي : منزلة الرجاء ومنزلة الخوف .

قول الناظم : (وَهُمْ الَّذِينَ بَنَوْا مَنَازِلَ سَيْرِهِمْ)

المنازل: جمع منزلة.

وفي اللغة: تطلق على معاني منها:

(الدرجة - المرتبة - المكانة - وموضع النزول)

المنازل: هو المكان الذي يقف عنده السائر ويستريح فيه ، ثم يمشي ليتزود إلى

المنزلة الثانية (راجع المعجم الوسيط).

قول الناظم : (بين الرجاء ..)

تعريف الرجاء :

قال الجرجاني رحمه الله: "الرجاء في اللغة: الأمل .

وفي الاصطلاح : تعلق القلب بحصول محبوب في المستقبل".

قال الراغب الأصفهاني رحمه الله: الرجاء :توقع محبوب عن إمارة مضمونة او

معلومة. اهـ

وقال ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين: (٣٥ / ٢)

"الرَّجَاءُ" حَادٍ يَحْدُو الْقُلُوبَ إِلَى بِلَادِ الْمُحِبُّوبِ. وَهُوَ اللَّهُ وَالذَّارُ الْآخِرَةُ. وَيَطِيبُ لَهَا السَّيْرُ.

وَقِيلَ: هُوَ الْإِسْتِبْشَارُ بِجُودِ وَفَضْلِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى. وَالْإِزْتِيَا حُ لِمُطَالَعَةِ كَرَمِهِ سُبْحَانَهُ.

أقسام الرجاء:

الرجاء ثلاثة أنواع نوعان محمودان. ونوع غرور ومذموم:

المحمودان:

١- رجاء رجل عمل بطاعة الله على نور من الله فهو راج لثوابه.

٢- رجل أذنب ذنباً ثم تاب منها راجياً لمغفرة الله تعالى وعفوه وإحسانه .

نوع مذموم:

٣- رجل متمادي في التفريط والخطايا يرجو رحمة الله بلا عمل فهذا هو

(الغرور والتمني والرجاء الكاذب).

[راجع مدارج السالكين منزلة الرجاء (٣٧ / ٢)].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله :

والمقصود من الرجاء أن من وقع منه تقصير فليحسن ظنه بالله ويرجوا أن يمحو

عنه ذنبه وكذا من وقع منه طاعة يرجو قبولها،

وأما من انهمك على المعصية راجياً عدم المؤاخذه بغير ندم ولا إقلاع فهذا في

[غرور].

وما أحسن قول أبي عثمان الجيزي : من علامات السعادة أن تطيع وتخاف ألا تقبل، ومن علامات الشقاء أن تعصي وترجو أن تنجو. اهـ راجع الفتح [٣١٠ / ١١]

الأدلة على الرجاء :

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَنَّهُدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَكُلْتِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨]

﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت: ٥]
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]

قال الشيخ العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾
المراد بالرجاء: الطلب والأمل. أي من كان يأمل أن يلقى ربه.
والمراد باللقى: هي الملاقاة الخاصة .

واللقاء على نوعين :

اللقاء الاول : هو عام لكل إنسان قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدًّا فَمَلَأْتِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦]

ولذلك قال: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ ﴿٧﴾ ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ ﴿٨﴾
[الانشقاق: ٧-٨] وقال: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ ﴿١٠﴾ ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا﴾ ﴿١١﴾
[الانشقاق: ١١]

واللقاء الثاني : هو خاص بالمؤمنين وهو لقاء الرضا والنعيم كما في هذه الآية.

وتتضمن رؤيته تبارك وتعالى كما ذكر أهل العلم أن اللقاء هنا بمعنى الرؤية.

قوله تعالى : ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ [الكهف: ١١٠]

فليعمل عملاً صالحاً الفاء رابطة لجواب الشرط والأمر للإرشاد

أي: من كان يريد أن يلقي الله على الوجه الذي يرضاه سبحانه فليعمل عملاً صالحاً.

والعمل الصالح: ما كان خالصاً صواباً لوجه الله والصواب ما كان على شريعة الله ورسوله.

[راجع القول المفيد شرح كتاب التوحيد (٢/ ١٠٠ / ٢٨)].

تنبيه : الرجاء المتضمن للذل والخضوع لا يكون إلا لله عز وجل .

وصرفه لغير الله شركاً إما أكبر أو أصغر بحسب ما يقوم ويغلب على الراجي .

[راجع الفتاوى للعثيمين (٦/ ٥٣)].

مسألة : الفرق بين الرجاء والتمني؟

قال ابن القيم رحمه الله مدارج السالكين (٢/ ٣٧):

وَالْفَرْقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّمَنِّي أَنَّهُ التَّمَنِّي يَكُونُ مَعَ الْكَسَلِ . وَلَا يَسْلُكُ بِصَاحِبِهِ طَرِيقَ الْجِدِّ وَالْإِجْتِهَادِ .

و " الرَّجَاءُ " يَكُونُ مَعَ بَذْلِ الْجُهِدِ وَحُسْنِ التَّوَكُّلِ .

فَالْأَوَّلُ: كَحَالِ مَنْ يَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ لَهُ أَرْضٌ يَبْذُرُهَا وَيَأْخُذُ زَرْعَهَا .

وَالثَّانِي : كَحَالِ مَنْ يَشْقُ أَرْضَهُ وَيَفْلَحُهَا وَيَبْذُرُهَا. وَيَرْجُو طُلُوعَ الزَّرْعِ.

وَلِهَذَا أَجْمَعَ الْعَارِفُونَ عَلَى أَنَّ الرَّجَاءَ لَا يَصِحُّ إِلَّا مَعَ الْعَمَلِ.

قَالَ شَاهُ الْكُرْمَانِيِّ: عَلَامَةُ صِحَّةِ الرَّجَاءِ حُسْنُ الطَّاعَةِ.

منزلة الرجاء :

قال شيخ الإسلام في الفتاوى الكبرى (٣٥٩ / ٥) :

وَعَمَلُ الْقَلْبِ مِنَ التَّوَكُّلِ، وَالْخَوْفِ، وَالرَّجَاءِ، وَمَا يَتَّبِعُ ذَلِكَ، وَالصَّبْرِ وَاجِبٌ بِالِاتِّفَاقِ، وَلَا يَلْزُمُ الرِّضَا بِمَرَضٍ وَفَقْرٍ وَعَاهَةٍ وَهُوَ الصَّحِيحُ. اهـ

قال ابن القيم في مدارج السالكين (٤٢ / ٢) :

الرَّجَاءُ مِنْ أَجْلِ مَنَازِلِهِمْ، وَأَعْلَاهَا وَأَشْرَفُهَا. وَعَلَيْهِ وَعَلَى الْحُبِّ وَالْخَوْفِ مَدَارُ

السَّيْرِ إِلَى اللَّهِ. وَقَدْ مَدَحَ اللَّهُ تَعَالَى أَهْلَهُ، وَأَثْنَى عَلَيْهِمْ. فَقَالَ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي

رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ ﴿٢١﴾

[الأحزاب: ٢١]

وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الْإِلَهِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ - «يَا

ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي.» وَرَوَى

الْأَعْمَشُ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ

وَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ. إِذَا ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي. وَإِنْ

ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ. وَإِنْ اقْتَرَبَ إِلَيَّ شَبْرًا، اقْتَرَبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا.

وَإِنْ اقْتَرَبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، اقْتَرَبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا. وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي، أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً.» . رَوَاهُ

مُسْلِمٌ.

قول الناظم : (والخوف)

تعريف الخوف لغة : الذعر والفرع.

وقال الراغب الاصفهاني: توقع مكروه عن إماراة مظنونة أو معلومة

ومعنى الخوف شرعا : هو وصف قائم بالقلب يؤدي إلى فعل الأوامر وترك النواهي .

منزلة الخوف :

قال ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين (١ / ٥٠٧):

وَهِيَ مِنْ أَجَلِّ مَنَازِلِ الطَّرِيقِ وَأَنْفَعُهَا لِلْقَلْبِ، وَهِيَ فَرَضٌ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ،

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٧٥) [آل عمران: ١٧٥]

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَيْتَى فَارَهُبُونَ﴾ (٤٠) [البقرة: ٤٠]

وَقَالَ: ﴿فَلَا تَخْشَوْا الْكَاسَ وَأَخْشَوْنَ﴾ [المائدة: ٤٤]

وَمَدَحَ أَهْلَهُ فِي كِتَابِهِ وَأَثْنَى عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ

﴾ (٥٧) [المؤمنون: ٥٧]

إِلَى قَوْلِهِ ﴿أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ (٦١) [المؤمنون: ٦١]. اهـ

الأدلة على منزلة الخوف :

تقدم في كلام ابن القيم جملة منها ومن ذلك قوله تعالى :

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ

ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٢) [الأنفال: ٢]

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره:

وَهَذِهِ صِفَةُ الْمُؤْمِنِ حَقَّ الْمُؤْمِنِ، الَّذِي إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّ قَلْبُهُ، أَيْ: خَافَ مِنْهُ، فَفَعَلَ أَوْامِرَهُ، وَتَرَكَ زَوَاجِرَهُ. اهـ

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ﴾ ٤٠ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ

﴿٤١﴾ [النازعات: ٤٠-٤١]

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره:

أَيْ: خَافَ الْقِيَامَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَخَافَ حُكْمَ اللَّهِ فِيهِ، وَنَهَى نَفْسَهُ عَنْ هَوَاهَا، وَرَدَّهَا إِلَى طَاعَةِ مَوْلَاهَا ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ ٤١ أَيْ: مُنْقَلَبُهُ وَمَصِيرُهُ وَمَرَجَعُهُ إِلَى الْجَنَّةِ الْفَيْحَاءِ. اهـ

أقسام الخوف :

١- **خوف السر :** وهو أن يخاف من ميت أو غائب أنه عنده القدرة على أن يصيبه بما شاء من ضرر أو مرض أو فقر أو قتل، سواء في حال حضوره أو غيابه أو حياته أو موته من غير مباشرة الأسباب الحسية. وهذا الخوف من الشرك الأكبر لأن خوف السر يختص به سبحانه وهو كون الإنسان يخاف من المخلوق من أجل قدرة خاصة سرية يعتقدها فيه ليست حسب الحس. ولذلك يعتقد عباد القبور أن بعض الناس له القدرة على التصرف في الكون مع الله جل وعلا دون الأسباب الحسية التي يقدر عليها المخلوق.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ

يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الرؤم: ٣٦]

وهو الواقع من عباد القبور يخافون ممن يعظمونه كما يخافون الله بل أشد.

٢- **خوف محرم** : وهو أن يترك الإنسان ما يجب عليه لغير عذر شرعي بل

لخوفه من الناس فهذا محرم ومعصية.

وفي حديث عائشة رضي الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم قال: « ومن التمس رضا الناس بسخط

الله؛ سخط الله عليه، وأسخط عليه الناس ».

قال الألباني في صحيح ابن حبان " صحيح لغيره ".

٣- **خوف عباده** : وهو أن يخاف الله تعظيماً له وخوفاً من عذابه.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ [إبراهيم: ١٤]

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن: ٤٦]

وهذا الخوف من أعلى مراتب الإيمان.

قال ابن القيم رحمته الله مدارج السالكين (٢ / ٣٧١):

وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ - رحمته الله - يَقُولُ: حَدُّ الْخَوْفِ مَا حَجَزَكَ

عَنْ مَعَاصِي اللَّهِ. فَمَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ: فَهُوَ غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَيْهِ. اهـ.

٤- **خوف طبيعي** : كالخوف من عدو وسبع وغرق ونحو ذلك فهذا لا

يذم عليه إذا لم يجاوز حده.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمته الله في القول المفيد (٢ / ٦٨):

الخوف الطبيعي والجبلي؛ فهذا في الأصل مباح؛ لقوله تعالى عن موسى

﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص: ٢١]، وقوله عنه أيضا: ﴿قَالَ رَبِّ

إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ [القصص: ٣٣]،

لكن إن حمل على ترك واجب أو فعل محرم؛ فهو محرم، وإن استلزم شيئا مباحا كان مباحا، فمثلا من خاف من شيء لا يؤثر عليه وحمله هذا الخوف على ترك صلاة الجماعة مع وجوبها؛ فهذا الخوف محرم، والواجب عليه أن لا يتأثر به. وإن هددته إنسان على فعل محرم، فخافه وهو لا يستطيع أن ينفذ ما هدد به؛ فهذا خوف محرم لأنه يؤدي إلى فعل محرم بلا عذر، وإن رأى نارا ثم هرب منها ونجا بنفسه؛ فهذا خوف مباح، وقد يكون واجبا إذا كان يتوصل به إلى إنقاذ نفسه. اهـ

٥- خوف وهمي: وهو الخوف الذي ليس له سبب أصلا أو له سبب ضعيف

فهذا مذموم يدخل صاحبه في وصف الجبناء.

[راجع أقسام الخوف في شروح كتاب التوحيد ومنها تيسير العزيز الحميد، وفتح المجيد، والقول المفيد].

قول الناظم: (لَلدِّيَّانِ)

الديان اسم من أسماء الله تعالى : لحديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُتَيْسٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يَحْشُرُ اللَّهُ الْعِبَادَ أَوْ قَالَ يَحْشُرُ اللَّهُ النَّاسَ قَالَ وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الشَّامِ عُرَاةَ غُرْلًا بُهْمًا، قُلْتُ مَا بُهْمًا؟ قَالَ لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، قَالَ: فَيَنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعْدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قُرْبَ أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الدِّيَّانُ...» أخرجه أحمد

(٣ / ٤٩٥)، والبخاري في "الأدب" (٩٧٠) وآخرون من حديث عبد الله بن أنيس رحمته الله. وصححه الالباني بمجموع طرقه .

معنى: الديان: له معان منها:

- الديان: الذي يدين ويجازي عباده بأعمالهم من خير أو شر .

- الديان: القهار . راجع [النهاية لابن الأثير، ٢ / ١٤٩] .

وفي (مختار الصحاح) : وقوله تعالى : ﴿أَتَأْمَدُونَ﴾ [الصفات: ٥٣]

أي: لمجزيون محاسبون ومنه الديان في صفة الله تعالى . اهـ

وفي (لسان العرب) : (الديان من أسماء الله عز وجل معناه: الحكم القاضي ، والديان: القهار ... وهو فعال من دان الناس أي قهرهم على الطاعة يقال دننهم فدانوا أي قهرتهم فأطاعوا). اهـ

قال ابن القيم رحمته الله في نونيته:

وكذا ينادي الخلق يوم معادهم بالصوت يسمع صوته الثقلان

أني أنا الديان آخذ حق مظـ لوم من العبد الظلوم الجاني

تنبيه :

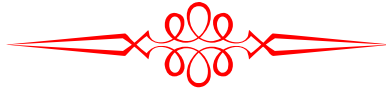
قال شيخ الإسلام رحمته الله في الفتاوى الكبرى (٥ / ٣٥٩):

وَيَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَكُونَ خَوْفُهُ وَرَجَاؤُهُ وَاحِدًا، فَأَيُّهُمَا غَلَبَ هَلَكَ صَاحِبُهُ وَنَصَّ عَلَيْهِ الْإِمَامُ أَحْمَدُ؛ لِأَنَّ مَنْ غَلَبَ خَوْفُهُ وَقَعَ فِي نَوْعٍ مِنَ الْيَأْسِ، وَمَنْ غَلَبَ رَجَاؤُهُ وَقَعَ فِي نَوْعٍ مِنَ الْأَمْنِ مِنَ مَكْرِ اللَّهِ . اهـ

قال ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين (١ / ٥١٣):

الْقَلْبُ فِي سَيْرِهِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِمَنْزِلَةِ الطَّائِرِ، فَاَلْمَحَبَّةُ رَأْسُهُ،
وَالْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ جَنَاحَاهُ، فَمَتَى سَلِمَ الرَّأْسُ وَالْجَنَاحَانِ فَالطَّائِرُ جَيِّدُ الطَّيْرَانِ،
وَمَتَى قُطِعَ الرَّأْسُ مَاتَ الطَّائِرُ، وَمَتَى فَقِدَ الْجَنَاحَانِ فَهُوَ عُرْضَةٌ لِكُلِّ صَائِدٍ
وَكَاسِرٍ، وَلَكِنَّ السَّلَفَ اسْتَحَبُّوا أَنْ يَقْوَى فِي الصَّحَّةِ جَنَاحُ الْخَوْفِ عَلَى جَنَاحِ
الرَّجَاءِ، وَعِنْدَ الْخُرُوجِ مِنَ الدُّنْيَا يَقْوَى جَنَاحُ الرَّجَاءِ عَلَى جَنَاحِ الْخَوْفِ، هَذِهِ
طَرِيقَةُ أَبِي سُلَيْمَانَ وَغَيْرِهِ، قَالَ: يَنْبَغِي لِلْقَلْبِ أَنْ يَكُونَ الْغَالِبُ عَلَيْهِ الْخَوْفُ، فَإِنْ
غَلَبَ عَلَيْهِ الرَّجَاءُ فَسَدَ.

وَقَالَ غَيْرُهُ: أَكْمَلُ الْأَحْوَالِ: اعْتِدَالُ الرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ، وَغَلَبَةُ الْحُبِّ، فَاَلْمَحَبَّةُ هِيَ
الْمُرْكَبُ. وَالرَّجَاءُ حَادٍ، وَالْخَوْفُ سَائِقٌ، وَاللَّهُ الْمُوَصِّلُ بَيْنَهُ وَكَرَمِهِ. اهـ



المنزلة السادسة من منازل السائر إلى الله

منزلة المحبة

٤- وَهُمْ الَّذِينَ مَلَأَ إِلَهُ قُلُوبَهُمْ بِوُدَادِهِ وَحُبِّهِ الرَّحْمَانِ
في هذا البيت ذكر الإمام السعدي رحمه الله منزلة عظيمة من منازل السائر إلى الله
وهي منزلة المحبة وهي من أجل وأنفع المنازل.

قول الناظم : (مَلَأَ إِلَهُ قُلُوبَهُمْ)

أي ملأ الله عز وجل ذلك القلب بوداده ومحبه .

قال الله تعالى : ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ [المجادلة: ٢٢]

ولما جاء عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه ، قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : "يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ : «يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ ، ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ» . رواه الترمذي وصححه العلامة الألباني .
وجاء عنه صلى الله عليه وسلم قال : « أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً : إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ » متفق عليه من حديث النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه .

فائدة : القلب نوعان :

- **القلب السليم :** هو القلب الذي ينفع صاحبه يوم القيامة عند الله تعالى ،
ويكون سليماً عن جميع ما يكرهه الله ويسخطه ولا يكون فيه سوى محبة
الله وإرادة ذلك وكرهه ما يكرهه الله والبعد عنه .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾
 [الشعراء: ٨٨-٨٩]

- **والقلب الفاسد:** هو القلب الذي فيه الميل إلى الأهواء المضلة والشهوات المحرمة، وليس فيه من خشية الله ما يكف الجوارح عن اتباع هوى

النفس ؛ ، كما **قَالَ اللَّهُ تَعَالَى** في الكافر والمنافق : ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾

قول الناظم: (بَوْدَادِهِ)

قال ابن القيم في **رَحِمَهُ اللَّهُ** مدارج السالكين (٣ / ٢٩):
 الْوِدَادُ وَهُوَ صَفْوُ الْمَحَبَّةِ، وَالْوُدُودُ مِنْ أَسْمَاءِ الرَّبِّ تَعَالَى.
 وَفِيهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ الْمُودُودُ. قَالَ الْبُخَارِيُّ **رَحِمَهُ اللَّهُ** فِي صَحِيحِهِ: الْوُدُودُ الْحَبِيبُ.
 وَالثَّانِي: أَنَّهُ الْوَادُ لِعِبَادِهِ. أَيُّ الْمَحَبَّةِ لَهُمْ. وَالْوَدَّ مَأْخُودٌ مِنَ الْوُدِّ بِضَمِّ الْوَاوِ بِمَعْنَى خَالصِ الْمَحَبَّةِ. اهـ

قول الناظم: (وَمَحَبَّةِ الرَّحْمَانِ)

أي من صفات السائرين إلى الله محبة عز وجل والسعي إلى فعل كل ما يحب الله لأن منزلة المحبة من أجل وأعظم الصفات والمنازل والكلام على المحبة في مسائل منها:

وجوب المحبة :

قال ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ** في الجواب الكافي (ص: ٢٢٨):
 وَقَدْ دَلَّ عَلَى وُجُوبِ مَحَبَّتِهِ سُبْحَانَهُ جَمِيعُ كُتُبِهِ الْمُنَزَّلَةِ، وَدَعْوَةُ جَمِيعِ رُسُلِهِ، وَفِطْرَتُهُ الَّتِي فَطَرَ عِبَادَهُ عَلَيْهَا، وَمَا رَكَّبَ فِيهِمْ مِنَ الْعُقُولِ، وَمَا أَسْبَغَ عَلَيْهِمْ مِنَ النِّعَمِ،

فَإِنَّ الْقُلُوبَ مَفْطُورَةٌ مَجْبُولَةٌ عَلَى مَحَبَّةٍ مِنْ أَنْعَمَ عَلَيْهَا وَأَحْسَنَ إِلَيْهَا، فَكَيْفَ بِمَنْ
كَانَ الْإِحْسَانَ مِنْهُ؟ وَمَا بِخَلْقِهِ جَمِيعَهُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. اهـ
والأدلة على وجوبها كثيرة منها:

قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ
وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ
ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ رَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرْوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ
شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: ١٦٥]

وجاء عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ
حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ
إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ» متفق عليه.

مَنْزِلَةُ الْمَحَبَّةِ:

قال ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين (٣/ ١١):

وَهِيَ الْمَنْزِلَةُ الَّتِي فِيهَا تَنَافَسَ الْمُتَنَافِسُونَ. وَإِلَيْهَا شَخَّصَ الْعَامِلُونَ. وَإِلَى عِلْمِهَا
شَمَّرَ السَّابِقُونَ. . . فَهِيَ قُوَّةُ الْقُلُوبِ، وَغِذَاءُ الْأَرْوَاحِ، وَقُرَّةُ الْعُيُونِ. وَهِيَ الْحَيَاةُ
الَّتِي مَنْ حُرِمَهَا فَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ الْأَمْوَاتِ. وَالنُّورُ الَّذِي مَنْ فَقَدَهُ فَهُوَ فِي بَحَارِ
الظُّلُمَاتِ. وَالشِّفَاءُ الَّذِي مَنْ عَدِمَهُ حَلَّتْ بِقَلْبِهِ جَمِيعُ الْأَسْقَامِ. وَاللَّذَّةُ الَّتِي مَنْ لَمْ
يُظْفَرْ بِهَا فَعَيْشُهُ كُلُّهُ هُمُومٌ وَآلَامٌ. اهـ

قال العلامة السعدي في تعليقه:

منزلة المحبة هي أصل المنازل كلها، ومنها تنشأ جميع الأعمال الصالحة، والأعمال النافعة، والمنازل العالية. اهـ

تعريف المحبة:

قال ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين (٣ / ١٨):

لَا تُحَدُّ الْمُحَبَّةُ بِحَدٍّ أَوْ ضَحٍّ مِنْهَا. فَالْحُدُودُ لَا تَزِيدُهَا إِلَّا خَفَاءً وَجَفَاءً. فَحَدُّهَا وَجُودُهَا. وَلَا تُوصَفُ الْمُحَبَّةُ بِوَصْفٍ أَظْهَرَ مِنَ الْمُحَبَّةِ. اهـ

قال العلامة السعدي في تعليقه:

معنى المحبة: تعلق القلب بالمحبيب، ولزوم الحب للقلب فلا تنفك عنه، وهي تقتضي من صاحبها الإنكفاف عما يكره الحبيب والمبادرة لما يرضيه. اهـ

أقسام المحبة:

١- محبة عبادة: وهي محبة التذلل، والتعظيم، وأن يقوم بقلب المحب من

إجلال المحبوب، وتعظيمه ما يقتضي امتثال أمره، واجتناب نهيهِ.

وهذه المحبة أصل الإيمان والتوحيد، وهي التي يترتب عليها من الفضائل ما لا يمكن حصره وعدّه.

ومنْ صرف تلك المحبة لله فهو المؤمن الموحد،

ومن صرفها لغير الله: فقد وقع في المحبة الشركية.

وذلك كمحبة المشركين الذين يحبون آلهتهم، وأندادهم كمحبة الله، من

شجر، أو حجر، أو بشر، أو ملك أو غيرها كمحبة الله أو أكثر؛ فهذه

المحبة أصل الشرك، وأساسه.

٢- **محبة لله عز وجل:** كمحبة ما يحبه الله من الممكنة، والأزمنة، والأشخاص، والأعمال، والأقوال، ونحو ذلك؛ فهذه المحبة تابعة لمحبة الله.

٣- **المحبة الطبيعية:** ويدخل تحت هذه المحبة ما يلي:

- أ- **محبة إشفاق ورحمة:** كمحبة الوالد لولده.
 - ب- **محبة إجلال وتعظيم دون عبادة:** كمحبة الولد لوالده، وكمحبة التلميذ لمعلمه وشيخه، ونحو ذلك.
 - ج- **محبة الإنسان ما يلائمه:** كمحبة الطعام، والشراب، والنكاح، واللباس، والأصدقاء، والخلطاء، ونحو ذلك.
- فهذه المحاب داخلية في المحبة الطبيعية المباحة، فإن أعانت على محبة الله وطاعته دخلت في باب الطاعة، وإن صدت عن محبة الله، وتوسّل بها إلى ما لا يحبه الله دخلت في المنهيات، وإن لم تُعِن على طاعة، ولا معصية فهي في دائرة المباحات.
- [راجع رسائل الشيخ الحمد في العقيدة (٨ / ١)]

الأسباب والأعمال الجالبة لمحبة الله، والموجبة لها :

- ١- **أداء الفرائض ثم التقرب إلى الله بالنوافل بعدها.**
- لما جاء في صحيح البخاري، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يقول تعالى: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آَارَزَنِي بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِمِثْلِ أَدَاءٍ مَا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ. وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحْبَبَهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ...»

الجُلُلُ الزَّاهِرَةُ

٢- مُجَالَسَةُ الْمُحِبِّينَ الصَّادِقِينَ، وَمَحَبَّتُهُمْ وَزِيَارَتُهُمْ وَالتَّقَاطُ أَطَايِبِ ثَمَرَاتِ كَلَامِهِمْ :

لحديث مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رحمته الله، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلی اللہ علیہ وسلم يَقُولُ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «وَجَبَتْ حُبِّي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيِّ وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيِّ وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيِّ وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيِّ» رواه أحمد ومالك وصححه العلامة الألباني رحمهم الله .

ولحديث أَبِي هُرَيْرَةَ رحمته الله، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلی اللہ علیہ وسلم: «خَرَجَ رَجُلٌ يَزُورُ أَخَاهُ فِي اللَّهِ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا مَرَّ بِهِ، قَالَ: أَتَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ فُلَانًا. قَالَ: الْقَرَابَةُ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَلِنِعْمَةٍ لَهُ عِنْدَكَ تَرْبُهَا؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَلِمَ تَأْتِيهِ؟ قَالَ: إِنِّي أَحْبَبْتُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ: أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّكَ بِحُبِّكَ إِيَّاهُ فِيهِ» أخرجه مسلم.

٣- مُطَالَعَةُ الْقَلْبِ لِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَمُشَاهَدَتُهَا وَمَعْرِفَتُهَا. فَمَنْ عَرَفَ اللَّهَ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ: أَحَبَّهُ اللَّهُ لَا مَحَالَةَ:

فَعَنْ عَائِشَةَ رحمته الله، أَنَّ النَّبِيَّ صلی اللہ علیہ وسلم بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سَرِيَّةٍ، وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِمْ، فَيَخْتِمُ بِـ «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صلی اللہ علیہ وسلم، فَقَالَ: «سَلُّوهُ: لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟». فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وَأَنَا أَحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا. فَقَالَ النَّبِيُّ صلی اللہ علیہ وسلم: «أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّهُ».

٤- اتِّبَاعُ هَدْيِ الرَّسُولِ ﷺ :

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: ادَّعَى قَوْمٌ مَحَبَّةَ اللَّهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ الْمِحْنَةِ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾
فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴿[آل عمران: ٣١]

صفات المحبوبين لله :

وَالْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ مَمْلُوءَانِ بِذِكْرِ مَنْ يُحِبُّهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ. وَذَكَرَ مَا
يُحِبُّهُ مِنْ أَعْمَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ.

فَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ وَيُحِبُّ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾
[المائدة: ٥٤]

وإليك فيما يلي إجمالاً لبعض صفات الذين خصهم الله بالمحبة :

- ١- التوابون.
- ٢- المتطهرون.
- ٣- المتقون.
- ٤- المحسنون.
- ٥- الصابرون.
- ٦- المتوكلون.
- ٧- المقسطون.
- ٨- الذين يقاتلون في سبيله صفاء كأنهم بينان مرصوص.
- ٩- الأذلة على المؤمنين.
- ١٠- الأعزة على الكافرين.

١١- المجاهدون في سبيل الله.

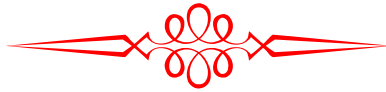
١٢- الذين لا يخافون لومة لائم.

١٣- الإكثار من ذكره ولهذا ذكر المؤلف منزلة الذكر بعد منزلة المحبة لأنها موصلة إليها كما أشار إلى ذلك في تعليقه.

علامة صدق محبة العبد لله ولدينه وشرعه:

قال شيخ الإسلام **رحمته الله** في قاعدة في المحبة (ص: ٨٩):

وبهذا يتبين أن محبة الله توجب المجاهدة في سبيله قطعاً، فإن من أحب الله وأحبه الله أحب ما يحبه الله وأبغض ما يبغضه الله ووالي من يواليه الله وعادي من يعاديه الله، لا تكون محبة قط إلا وفيها ذلك بحسب قوتها وضعفها؛ فإن المحبة توجب الدنو من المحبوب والبعد عن مكروهاته، ومتى كان مع المحبة نبذ ما يبغضه المحبوب فإنها تكون تامة، وأما موادة عدوه فإنها تنافي المحبة **قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا**
ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢] الآية. اهـ



المنزلة السابعة من منازل السائرين إلى الله

منزلة الذكر

٥- وَهُمْ الَّذِينَ أَكْثَرُوا مِنْ ذِكْرِهِ فِي السِّرِّ وَالْإِعْلَانِ وَالْأَخْيَانِ

الشَّيْخ

في هذه الآيات ذكر الإمام السعدي رحمه الله منزلة عظيمة من منازل السائرين إلى الله وهي منزلة الذكر

قول الناظم : (وَهُمْ الَّذِينَ أَكْثَرُوا مِنْ ذِكْرِهِ)

الدليل من القرآن :

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الجمعة: ١٠]

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا

عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٥]

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَادْكُرُونِي أذكُرْكُمْ ﴾ [البقرة: ١٥٢]

الدليل من السنة :

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : « أَلَا أُنبِئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ

وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِكِكُمْ، وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرِ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ

وَالْوَرَقِ، وَخَيْرِ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟ »

قَالُوا: وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «ذِكْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهَ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَامَةُ الْأَلْبَانِي.

قال النووي **رَحِمَهُ اللَّهُ** في الأذكار (ص: ١٠):

قال مجاهد: لا يكون من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات حتى يذكر الله قائماً وقاعداً ومضطجعاً.

وسئل الشيخ الإمام أبو عمر بن الصَّلاح **رَحِمَهُ اللَّهُ**: عن القدر الذي يصيرُ به من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات؟

فقال: إذا وازبَّ على الأذكار الماثورة المثبتة صباحاً ومساءً في الأوقات والأحوال المختلفة ليلاً ونهاراً - كان من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات، اهـ والله أعلم.

منزلة الذكر:

قال ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ** في مدارج السالكين (٢/ ٣٩٥):

وَمِنْ مَنَازِلَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] مَنَزِلَةُ الذِّكْرِ وَهِيَ مَنَزِلَةُ الْقَوْمِ الْكُبْرَى الَّتِي مِنْهَا يَتَزَوَّدُونَ وَفِيهَا يَتَجَرَّوْنَ، وَإِلَيْهَا دَائِمًا يَتَرَدَّدُونَ. وَالذِّكْرُ مَنَشُورُ الْوِلَايَةِ الَّذِي مَنْ أُعْطِيَهِ اتَّصَلَ وَمَنْ مُنِعَهُ عَزِلَ، وَهُوَ قُوَّةُ قُلُوبِ الْقَوْمِ الَّذِي مَتَى فَارَقَهَا صَارَتِ الْأَجْسَادُ لَهَا قُبُورًا، وَعِمَارَةُ دِيَارِهِمُ الَّتِي إِذَا تَعَطَّلَتْ عَنْهُ صَارَتْ بُورًا، وَهُوَ سِلَاحُهُمُ الَّذِي يُقَاتِلُونَ بِهِ قُطَّاعَ الطَّرِيقِ، وَمَاؤُهُمُ الَّذِي يُطْفِئُونَ بِهِ التَّهَابَ الطَّرِيقِ وَدَوَاءُ أَسْقَامِهِمُ الَّذِي مَتَى فَارَقَهُمْ انْتَكَسَتْ مِنْهُمْ الْقُلُوبُ، وَالسَّبَبُ الْوَاصِلُ وَالْعَلَاقَةُ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عِلَاقِ الْغُيُوبِ.

إِذَا مَرَضْنَا تَدَاوِينَا بِذِكْرِكُمْ فَتَرَكُ الذِّكْرَ أَحْيَانًا فَتَنْتَكِسُ. اهـ

قال العلامة السعدي في تعليقه:

منزلة الذكر: منزلة شريفة حاجة كل إنسان إليها بل ضرورته إليها فوق كل حاجة. اهـ

قول الناظم : (فِي السِّرِّ وَالْإِعْلَانِ وَالْأَحْيَانِ)

أي أن السائرين إلى الله ملازمين ذكر الله في كل أحوالهم.

قوله (في السر):

من الأدلة على ذلك ماجاء عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: "أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً"» متفق عليه.

فيه فضيلة ذكر الله سرا وخفية وهذا هو الأصل في الذكر وقد **قال الله تعالى:**

﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا

تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ [الأعراف: ٢٠٥]

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره:

قوله تعالى: ﴿تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾: أي اذكر ربك في نفسك رغبة ورهبة وبالقول

لَا جَهْرًا،

وَلِهَذَا قَالَ : ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ﴾ وَهَكَذَا يُسْتَحَبُّ أَنْ يَكُونَ الذِّكْرُ لَا يَكُونُ نِدَاءً وَجْهًا بَلِيغًا. اهـ

قول الناظم : (والإعلان) :

أي أنه قد يشرع في بعض المواضع ذكر الله جهرا لمصلحة ، كقراءة القرآن جهرا في الصلاة الجهرية ، وكالجهر بالتلبية والتكبير ، وكالذكر في مجالس العلم والذكر ، وقد جاء في الحديث القدسي السابق ذكره : «وَأِنْ ذَكَرْنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ» .

قول الناظم : (والأحيان) :

أي أنه يستحب ذكر الله في كل الأحيان وهذا مأخوذ من قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقَعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران : ١٩١] وجاء عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ أَحْيَانِهِ» أخرجه مسلم

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في شرحه على مسلم (٤ / ٦٨) :

الْمَقْصُودُ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَىٰ مُتَطَهِّرًا وَمُحَدِّثًا وَجُنُبًا وَقَائِمًا وَقَاعِدًا وَمُضْطَجِعًا وَمَاشِيًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ. اهـ

فائدة :

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب الأذكار (ص : ١١) :

أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَىٰ جَوَازِ الذِّكْرِ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ لِلْمُحَدِّثِ وَالْجُنُبِ وَالْحَائِضِ وَالنِّسَاءِ ، وَذَلِكَ فِي التَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّحْمِيدِ وَالتَّكْبِيرِ وَالصَّلَاةِ عَلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والدعاء وغير ذلك. اهـ

فائدة :

مما يدل على فضيلة الذكر أن جملة من العبادات أمر الله عزوجل بالذكر بعد الإنتهاء من أدائها :

فقال في الصلاة : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتْهُمُ الصَّلَاةُ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ ﴾ [النساء: ١٠٣]

وقال في صلاة الجمعة: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الجمعة: ١٠]

وقال في الحج : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتْهُمُ مَنَسِكَكُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴾ [البقرة: ٢٠٠]

وقال في الصيام : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتُمْ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٥]

جملة من فضائل الذكر وثماره:

١ - الذكر أحب الكلام إلى الله :

لما جاء في "صحيح مسلم" : عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه، قال: قال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم : «أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَحَبِّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى؟ إِنَّ أَحَبَّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ».

وعن - سَمُرَةَ بن جندب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : «أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ؛ لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّنَ بَدَأْتَ». رواه مسلم.

٢- الذكر سبب لتفريج الكربات والهموم عند البلاء ويجلب للقلب الفرح والسرور والإطمئنان؛

الدليل: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ

﴿٢٨﴾ [الرعد: ٢٨]

دليل ذلك أيضا: قوله تعالى عن نبينا يونس عليه السلام ،

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَيْتَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الصافات: ١٤٣، ١٤٤] .

وجاء أيضا: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَصَابَهُ هَمٌّ أَوْ حَزَنٌ فَلْيَدْعُ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ أَنَا عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، فِي قَبْضَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِي حُكْمِكَ، عَدُلٌ فِي قَضَاؤِكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ نُورَ صَدْرِي، وَرَبِيعَ قَلْبِي، وَجَلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي»

فقال رجل من القوم: يا رسول الله إن المغبون لمن غُبن في هؤلاء الكلمات، فقال: «أَجَلْ فَقُولُوهُنَّ وَعَلِّمُوهُنَّ، فَإِنَّهُ مَنْ قَاهُنَّ التَّيَّاسَ مَا فِيهِنَّ أَذْهَبَ اللَّهُ تَعَالَى حُزْنَهُ، وَأَطَالَ فَرَحَهُ» رواه أحمد وهو حديث حسن، وقد صححه العلامة الألباني، وحسنه شيخنا الوادعي .

٣- أن الذكر حرز من الشيطان سائر اليوم :

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أَنَّهُ كَانَ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ قَالَ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ، قَالَ الشَّيْطَانُ: حُفِظَ مِنِّي سَائِرَ الْيَوْمِ» رواه أبو داود وصححه العلامة الألباني، وحسنه شيخنا الوادعي .

وما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه قال: «مَنْ قَالَ: "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"، فِي يَوْمٍ مِائَةً مَرَّةً، كَانَتْ لَهُ عِدْلُ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَحُجِبَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزاً مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا رَجُلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْهُ». متفق عليه .

٤- الذكر يعد صدقة على كل عضو من أعضاء الجسد.

جاء في "صحيح مسلم" عن أبي ذر رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه - قال: «يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيَجْزِي مِنْ ذَلِكَ رُكْعَتَانِ تَرَكَعَهُمَا مِنَ الضُّحَى» .

٥- الذكر من أيسر الأعمال التي يتمسك بها العبد إذا كثرت عليه شرائع الإسلام:

لحديث عبد الله بن بسر رضي الله عنه، أن رجلاً قال: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ، فأخبرني بشيء أتشبث به، فقال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى». أخرجه الترمذي وصححه الألباني، وحسنه شيخنا الوادعي .

٦- الذكر من الأعمال التي تثقل بها الموازين يوم القيامة :

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ». متفق عليه.

٧- أنه سبب لتقوية الجسد والإعانة على فعل أمور الدنيا :

الدليل قصة فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

كما في صحيح مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَتَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْأَلُهُ خَادِمًا وَشَكَتِ الْعَمَلَ، فَقَالَ: «مَا أَلْفَيْتِيهِ عِنْدَنَا» قَالَ: «أَلَا أَذْلكَ عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ خَادِمٍ؟ [تُسَبِّحِينَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتَحْمَدِينَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتُكَبِّرِينَ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ]، حِينَ تَأْخُذِينَ مَضْجَعَكَ».

قال ابن القيم في «الوابل الصيب من الكلم الطيب» (ص ٤٢):

«الذكر قوت القلب والروح، فإذا فقد العبد صار بمنزلة الجسم إذا حيل بينه وبين قوته.

وحضرت شيخ الاسلام ابن تيمية مرة صلى الفجر ثم جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار، ثم التفت إلي وقال: هذه غدوتي، ولو لم أتغد الغداء سقطت قوتي. أو كلاماً قريباً من هذا. اهـ

٨- أن الذكر من الأسباب الجالبة للرزق :

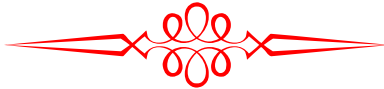
قال الله سبحانه وتعالى عن نبيه نوح عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝۱۱ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ۝۱۲﴾

﴿١٢﴾ [نوح: ١٠-١٢] وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ: قَالَ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِابْنِهِ: إِنْ قَاصَّ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةُ، أَمْرُكَ بِاثْنَيْتَيْنِ، وَأَنْهَاكَ عَنِ اثْنَتَيْنِ: أَمْرُكَ بِإِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ؛ فَإِنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ، لَوْ وُضِعْنَ فِي كِفَّةٍ وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ لَرَجَحَتْ بِهِنَّ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ كُنَّ حَلَقَةً مُبْهَمَةً لَقَصَمْتُهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ؛ فَإِنَّهَا صَلَاةٌ كُلُّ شَيْءٍ،" وَبِهَا يُرْزَقُ كُلُّ شَيْءٍ...» الحديث صحيح صححه العلامة الألباني وشيخنا الوادعي.

٩- أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يختم كل عبادة أو أي مجلس بالذكر:

فَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: «مَا جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَجْلِسًا قَطُّ وَلَا تَلَا قُرْآنًا وَلَا صَلَّى إِلَّا خَتَمَ ذَلِكَ بِكَلِمَاتٍ قَالَ نَعَمْ، مَنْ قَالَ خَيْرًا خَتَمَ لَهُ طَابِعٌ عَلَى ذَلِكَ الْخَيْرِ، وَمَنْ قَالَ شَرًّا كُنَّ لَهُ كَفَّارَةٌ "سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ"» وصححه العلامة الألباني، وشيخنا الوادعي وقالوا: إسناده صحيح على شرط مسلم.

[راجع للمزيد كتاب الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ٤١) وكتاب الأذكار للنووي]



المنزلة الثامنة من منازل السائرين إلى الله

منزلة اعترافهم بتقصيرهم في طاعة الله

- ٦- يَتَقَرَّبُونَ إِلَى الْمَلِكِ بِفِعْلِهِمْ طَاعَاتِهِ وَالتَّوَكُّلِ لِلْعِصْيَانِ
٧- فَعُلُ الْفَرَائِضِ وَالنَّوَافِلِ دَابَّهُمْ مَعَ رُؤْيَا التَّقْصِيرِ وَالنَّقْصَانِ
- السَّبْحُ**

في هذا البيت ذكر الإمام السعدي رحمه الله أن من منازل السائرين إلى الله اعترافهم بتقصيرهم في طاعة الله مع اجتهادهم في فعل الطاعات واجتناب المحرمات .

قول الناظم : (يَتَقَرَّبُونَ إِلَى الْمَلِكِ) :

(المليك) : اسم من أسماء الله عز وجل ، وقد ورد في القرآن الكريم مرة واحدة في

قوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْنَدٍ ﴿٥٥﴾﴾

[القمر: ٥٥] ومعنى (المليك) : أنه الملك العظيم الخالق .

قول الناظم : (طَاعَاتِهِ) :

تعريف الطاعة : هي التبعّد لله بفعل المأمورات ولو ندباً، وترك المنهيات ولو كراهة .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [آل عمران: ١٣٢]

وقد **قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :** ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكُمْ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَ رَبِّكُمْ فَخِذُوا بِمَوَاسِدِ الْفُلِ وَابْتِغُوا فِيهَا فَسَادًا وَخَالُوا لَهُمْ إِنَّا فَتَقْنَهُمْ وَنَحْنُ الْعَاقِبُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الحشر: ٧٠]

اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧٠﴾ [الحشر: ٧٠]

فائدة : أصناف الناس في الطاعة :

قال شيخ الإسلام في جامع المسائل (١ / ٦٩):

وقد ذكر في سورة فاطر تقسيم أمة محمد - ﷺ - إلى ثلاثة أصناف في قوله:

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ [فاطر: ٣٢]

فالظالم لنفسه: هو المفرط بترك المأمور أو فعل المحذور،

والمقتصد : المؤدّي للفرائض، المجتنب للمحارم،

والسابق بالخيرات: المؤدّي للواجب والمستحب، والتارك للمحرّم والمكروه. اهـ

مسألة : أيهما أفضل فعل الطاعات أو ترك المنهيات ؟

قال ابن القيم في الفوائد (ص: ١٢٠):

أن فعل المأمورات حياة القلب وغذاؤه وزينته وسروره وقرّة عينه ولذته ونعيمه، وترك المنهيات بدون ذلك لا يحصل له شيئاً من ذلك فإنه لو ترك جميع المنهيات ولم يأت بالإيمان والأعمال المأمور بها لم ينفعه ذلك التّرك شيئاً وكان خالداً في النار. اهـ

قال ابن القيم في الفوائد (ص: ١٢٥):

أن الله سبحانه جعل جزاء المأمورات عشرة أمثال فعلها وجزاء المنهيات مثل واحد وهذا يدل على أن فعل ما أمر به أحب إليه من ترك ما نهى عنه ولو كان الأمر بالعكس لكانت السيئة بعشرة والحسنة بواحدة أو تساويا. اهـ

٧- فِعْلُ الْفَرَائِضِ وَالنَّوَافِلِ دَأْبُهُمْ مَعَ رُؤْيَا التَّقْصِيرِ وَالنَّقْصَانِ
هذا البيت مرتبط بما قبله في صفة السائرين إلى الله أي أنهم حريصون أن يستغلوا
أعمارهم بفعل الواجبات ثم بالمبادرة إلى فعل النوافل والمستحبات. لعلمهم أن
ذلك من أعظم الأسباب لنيل محبة الله والقرب منه.

قول الناظم : (فِعْلُ الْفَرَائِضِ وَالنَّوَافِلِ دَأْبُهُمْ)

قد جاء في الحديث القدسي الذي رواه البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ. وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ آدَاءٍ مَا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ. وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ...» .

قول الناظم : (مَعَ رُؤْيَا التَّقْصِيرِ)

فهم مع علو همتهم وعظيم اجتهادهم ومسارعتهم للطاعة، في غاية الاعتراف
بالتقصير وعدم العجب والغرور.

قال شيخ الإسلام في منهاج السنة النبوية (٦ / ١٥٨):

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]

قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَهَوَ الرَّجُلُ يَزْنِي وَيَسْرِقُ وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ وَيَخَافُ
أَنْ يُعَاقَبَ؟ قَالَ: « لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُومُ وَيُصَلِّي وَيَتَصَدَّقُ
وَيَخَافُ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُ » .

فَخَوْفُهُ مِنَ التَّقْصِيرِ فِي الطَّاعَةِ مِنْ كَمَالِ الطَّاعَةِ.

قَالَ الْحَسَنُ: عَمِلُوا وَاللَّهِ بِالطَّاعَاتِ وَاجْتَهِدُوا فِيهَا وَخَافُوا أَنْ تَرُدَّ عَلَيْهِمْ إِنْ الْمُؤْمِنُ جَمَعَ إِحْسَانًا وَخَشْيَةً وَالْمَنَافِقُ جَمَعَ إِسَاءَةً وَأَمْنًا.

وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: أَدْرَكَتْ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ. اهـ

قال ابن القيم في رسالة إلى أحد إخوانه (ص: ٤٢):

مُشْهَدُ التَّقْصِيرِ وَأَنْ الْعَبْدَ لَوْ اجْتَهِدَ فِي الْقِيَامِ بِالْأَمْرِ غَايَةَ الْجَهْدِ وَبَذَلَ وَسْعَهُ فَهُوَ مُقْصِرٌ، وَحَقَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِ أَعْظَمُ، وَالَّذِي يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُقَابَلَ بِهِ مِنَ الطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ وَالْخِدْمَةِ فَوْقَ ذَلِكَ بِكَثِيرٍ، وَأَنْ عَظَمَتِهِ وَجَلَالُهُ سُبْحَانَهُ يَقْتَضِي مِنَ الْعِبَادَةِ مَا يَلِيْقُ بِهَا. اهـ

وَقَالَ: وَإِذَا شَهِدَ الْعَبْدَ مِنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ لَمْ يَوْفِ رَبَّهُ فِي عِبَادَتِهِ حَقَّهُ، وَلَا قَرِيبًا مِنْ حَقِّهِ، عَلِمَ تَقْصِيرَهُ، وَلَمْ يَسْعُهُ مَعَ ذَلِكَ غَيْرُ الْاسْتِغْفَارِ وَالْإِعْتِذَارِ مِنْ تَقْصِيرِهِ وَتَفْرِيطِهِ وَعَدَمِ الْقِيَامِ بِمَا يَنْبَغِي لَهُ مِنْ حَقِّهِ. اهـ

قال العلامة السعدي في تعليقه:

هَذَا هُوَ الْكَمَالُ: وَهُوَ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي أَدَاءِ الْفَرَائِضِ، وَالْإِكْثَارِ مِنَ النِّوَافِلِ، وَيَرَى نَفْسَهُ مُقْصِرًا مَفْرُطًا، فَاجْتَهِدَ فِي الْأَعْمَالِ يَنْفِي عَنْهُ الْكُسْلَ، وَرُؤْيَا تَقْصِيرِهِ يَنْفِي عَنْهُ الْعَجَبَ الَّذِي يَبْطُلُ الْأَعْمَالُ وَيُفْسِدُهَا. اهـ

قول الناظم: (وَالنُّقْصَانُ)

قال ابن عثيمين في شرح العقيدة السفارينية (١ / ٤١٠):

ثم اعلم أن نقص الإيمان على قسمين:

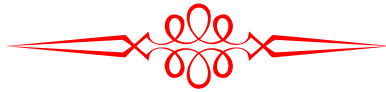
الأول: نقص لاحيلة للإنسان فيه: كنقص دين المرأة بترك الصلاة في أيام الحيض، فإن هذا لا اختيار لها فيه، بل لو أرادت أن تصلي حتى لا ينقص إيمانها لقليل لها: إن هذا حرام عليك، ولو صليت لزد إيمانك نقصاً. إذاً هذا نقص لا حيلة للإنسان فيه ولا يلام عليه؛ لأن هذا لا اختيار له فيه إطلاقاً.

ومثل: أن يموت الإنسان صغيراً، فإن إيمانه ينقص عمن عمر؛ لأن من عمر زاد إيمانه وزادت أعماله، فهذا النقص لا حيلة له فيه لا يلام عليه إطلاقاً.

الثاني: نقص باختيار الإنسان، وهذا ينقسم إلى قسمين:

إن كان سببه المعصية أو ترك الواجب فإنه يلام عليه، ويأثم به،

وإن كان نقصه بترك تطوع غير واجب فإنه لا يلام عليه لوماً يأثم به، وإن كان على الإنسان أن يجتهد في العمل الصالح، ولهذا قيل لابن عمر رضي الله عنهما في المنام: «نعم الرجل لو كان يقوم من الليل»، وقال النبي عليه الصلاة والسلام لعبد الله بن عمرو بن العاص: «يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم من الليل فترك قيام الليل»، وهذا لا شك أنه نوع لوم لكنه لوم لا إثم به، بخلاف من ترك الواجب أو فعل المحرم فإنه يلام لوماً يأثم به. اهـ



المنزلة التاسعة من منازل السائرين إلى الله

منزلة الصبر

٨ - صَبَرُوا النَّفُوسَ عَلَى الْمَكَارِهِ كُلِّهَا شَوْقًا إِلَى مَا فِيهِ مِنْ إِحْسَانٍ

الشرح

في هذا البيت ذكر الإمام السعدي رحمه منزلة من منازل السائرين إلى الله وهي :
منزلة الصبر .

قول الناظم : (صَبَرُوا النَّفُوسَ)

مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: ٢٨]

قال الشوكاني في فتح القدير (٣ / ٣٣٣): صَبَرُ النَّفْسِ هُوَ حَبْسُهَا. اهـ

الكلام على الصبر في مسائل منها :

تعريف الصبر:

قال ابن القيم في مدارج السالكين (٢ / ١٥٥):

وَالصَّبْرُ فِي اللَّغَةِ: الْحَبْسُ وَالْكَفُّ. وَمِنْهُ: قُتِلَ فُلَانٌ صَبْرًا. إِذَا أُمْسِكَ وَحَبَسَ. وَمِنْهُ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾؛ أَيِ احْبِسْ نَفْسَكَ مَعَهُمْ.

فَالصَّبْرُ: حَبْسُ النَّفْسِ عَنِ الْجَزَعِ وَالتَّسَخُّطِ. وَحَبْسُ اللِّسَانِ عَنِ الشَّكْوَى.

وَحَبْسُ الْجَوَارِحِ عَنِ التَّشْوِيشِ. اهـ

وقال ابن القيم في عدة الصابرين (ص: ١٦):

حقيقة الصبر: هو خُلُقٌ فاضل من أخلاق النفس يمنع صاحبه من فعل ما لا يَحْسُنُ، ولا يَجْمَلُ، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها، وقوام أمرها. اهـ

قال العلامة السعدي في تعليقه:

الصبر: هو حبس النفس على ما يكره الإنسان إذا كان في رضى الرحمن. اهـ

قول الناظم : (عَلَى الْمَكَارِهِ كُلِّهَا)

بين الناظم في هذه الكلمة أن من صفاتهم الصبر على المكاره والمصائب والأقدار المؤلمة التي أصابته وهذا نوع من أنواع الصبر وهناك أنواع أخرى سنذكرها بإذن الله لأنها من صفات السائرين التي قد مرت في البيت السابق وهي الصبر على فعل الطاعات وترك المحرمات .

أنواع الصبر :

قال ابن القيم في زاد المعاد (٤ / ٣٠٥):

الصَّبْرُ ثَلَاثَةٌ أَنْوَاعٍ: صَبْرٌ عَلَى فَرَائِضِ اللَّهِ، فَلَا يُضَيِّعُهَا، وَصَبْرٌ عَنْ مَحَارِمِهِ، فَلَا يَرْتَكِبُهَا، وَصَبْرٌ عَلَى أَقْضِيَّتِهِ وَأَقْدَارِهِ، فَلَا يَتَسَخَّطُهَا، وَمِنْ اسْتِكْمَلِ هَذِهِ الْمُرَاتِبِ الثَّلَاثِ، اسْتَكْمَلَ الصَّبْرَ، وَلَذَّةُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَنَعِيمَتَاهَا، وَالْفَوْزُ وَالظَّفَرُ فِيهِمَا لَا يَصِلُ إِلَيْهِ أَحَدٌ إِلَّا عَلَى جِسْرِ الصَّبْرِ، كَمَا لَا يَصِلُ أَحَدٌ إِلَى الْجَنَّةِ إِلَّا عَلَى الصِّرَاطِ، الصبر الواجب ثلاثة أنواع هي:

قال ابن القيم رحمه الله في عدة الصابرين (ص: ٢٨):

الصَّبْرُ باعتبار متعلّقه ثلاثة أقسام:

١- صبر الأوامر والطّاعات حتّى يؤدّيها:

قال الله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا

[مریم: ٦٥]

وقال جل ثناؤه: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ

وَالْعَقِبَةُ لِلنَّعْوَى [طه: ١٣٢]

٢- وصبر عن المعاصي والمحرمات حتّى لا يقع فيها،

قال الله تعالى: ﴿وَتَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ [الأنبياء: ٣٥]

٣- صبر على المصائب والبليات وأقدار الله المؤلمة حتّى لا يتسخطها.

قال الله تعالى: ﴿وَلَتَبْلُوكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ

وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِيرِ الصَّابِرِينَ [البقرة: ١٥٥]

منزلة الصبر:

قال ابن القيم في مدارج السالكين (٢ / ١٦١):

الصَّبْرُ مِنْ أَكْدِ الْمُنَازِلِ فِي طَرِيقِ الْمَحَبَّةِ، وَالزَّمَمُ لِلْمُحِبِّينَ. وَهُمْ أَحْوَجُ إِلَى مَنْزِلَتِهِ مِنْ كُلِّ مَنْزِلَةٍ. وَهُوَ مَنْ أَعْرِفَ الْمُنَازِلَ فِي طَرِيقِ التَّوْحِيدِ وَأَبْيَنَهَا. وَحَاجَةُ الْمُحِبِّ إِلَيْهِ ضَرُورِيَّةٌ. اهـ

وقال شيخ الإسلام في جامع المسائل (١ / ١٦٥):

قال السلف: الإيمان نصفان، نصفٌ صبر، ونصفٌ شكر.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥]

وإذا اعتبر العبد الدين كله رآه يرجع بجملته إلى الصبر والشكر. اهـ

وقال ابن القيم في زاد المعاد (٤ / ٣٠٥):

وَالصَّبْرُ مِنَ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ. اهـ

وقال ابن القيم في مدارج السالكين (٢ / ١٥١):

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: الصَّبْرُ فِي الْقُرْآنِ فِي نَحْوِ تِسْعِينَ مَوْضِعًا. وَهُوَ وَاجِبٌ بِإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ. وَهُوَ نِصْفُ الْإِيمَانِ. فَإِنَّ الْإِيمَانَ نِصْفَانِ: نِصْفُ صَبْرٍ، وَنِصْفُ شُكْرِ. اهـ

قول الناظم : (شَوْقًا إِلَى مَا فِيهِ مِنْ إِحْسَانٍ)

في هذا الشطر من البيت يبين الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ أن السبب في إتصاف السائرين الى الله بصفة الصبر لما علموا فيه من الأجور العظيمة فاشتقت نفوسهم لنيل هذه الأجور وبلوغ هذه المراتب

وسنذكر بإذن الله بعض هذه الفضائل :

ثمار الصبر وجزاء أهله :

ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ اكثر من عشرين جزءاً في القرآن للصابرين نذكر جزءاً منها:

١ - أن جزاء الصابرين وثوابهم بغير حساب :

الدليل : قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزُّمَر: ١٠]

قال العلامة السعدي في تفسيره (ص: ٧٢١)

وهذا عام في جميع أنواع الصبر، فوعد الله الصابرين أجرهم بغير حساب، أي: بغير حد ولا عد ولا مقدار، وما ذاك إلا لفضيلة الصبر ومحله عند الله، وأنه معين على كل الأمور. اهـ

٢- نيل محبة الله عزوجل .

فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٦)

٣- إطلاق البشرى لأهل الصبر :

بالحصول على صلوات من ربهم ورحمته وهدايته.

فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: ١٥٥)

قال ابن القيم رحمه الله في عدة الصابرين (ص: ٧٢):

جمع للصابرين ثلاثة أمور لم يجمعها لغيرهم وهى الصلاة منه عليهم ورحمته لهم وهدايته إياهم الواحدة منها خير مما عليه أهل الدنيا يتحاسدون .

٤- معية الله للصابرين بالهداية والتوفيق والنصر وغير ذلك :

فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال: ٤٦)

تبشير الله للصابرين بسلام الملائكة عليهم من المكروه المُرْهُوبِ، ودُخُولِ الْجَنَّةِ، وأنَّ مَا نَالُوهُ بِسَبَبِ صَبْرِهِمْ:

كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ (٣٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى

الدَّارِ ﴿٢٤﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤]

وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ ﴿٣٥﴾
[فُصِّلَتْ: ٣٥]

٥- ان التحلي بالصبر والتقوى سبب للتحصن من كيد الأعداء.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضْرِبْكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا

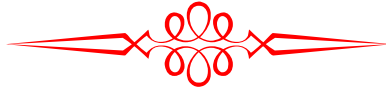
يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ ﴿١٢٠﴾ [آل عمران: ١٢٠]

قال ابن القيم في عدة الصابرين (ص: ٧٣):

أنه سبحانه جعل الصبر والتقوى جنة عظيمة من كيد العدو ومكره فمن استجن

العبد من ذلك جنة أعظم منهما قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضْرِبْكُمْ

كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ اهـ.



المنزلة العاشرة من منازل السائرين إلى الله

منزلة الرضا

٩- نَزَلُوا بِمَنْزِلَةِ الرِّضَا فَهُمْ بِهَا قَدْ أَصْبَحُوا فِي جَنَّةٍ وَأَمَانَ
الشَّجَّ

في هذه الآيات ذكر الأمام السعدي رحمته الله منزلة الرضا وهذه المنزلة أعلى من منزلة الصبر .

قال ابن القيم في مدارج السالكين (٢ / ١٧٢):

الرِّضَا بَابُ اللَّهِ الْأَعْظَمِ، وَجَنَّةُ الدُّنْيَا، وَمُسْتَرَا حُ الْعَارِفِينَ، وَحَيَاةُ الْمُحِبِّينَ، وَنَعِيمُ الْعَابِدِينَ، وَقَرَّةُ عُيُونِ الْمُشْتَاقِينَ. اهـ

قول الناظم : (الرِّضَا)

تعريف الرضا لغة: الرِّضَا مصدر رضي وهو مأخوذ من مادة (ر ض و) التي تدلّ على خلاف السخط.

قال ابن القيم في الفوائد (ص: ٩٣):

وَالرِّضَا: طِيبُ النَّفْسِ بِمَا يَجْرِي عَلَيْهِ مِنَ الْمُقَادِيرِ الَّتِي هِيَ عَيْنُ اخْتِيَارِ اللَّهِ لَهُ وَطَمَأْنِينَتُهَا إِلَى أَحْكَامِهِ الدِّينِيَّةِ وَهَذَا هُوَ الرِّضَا بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا وَمَا ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ لَمْ يَحْصِلْ لَهُ ذَلِكَ. اهـ

حكم الرضا :

قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٨ / ١٩١):

فَإِنَّ الصَّبْرَ عَلَى الْمَصَائِبِ وَاجِبٌ وَأَمَّا الرِّضَا بِهَا فَهُوَ مَشْرُوعٌ لَكِنْ هَلْ هُوَ وَاجِبٌ أَوْ مُسْتَحَبٌّ؟ عَلَى " قَوْلَيْنِ " لِأَصْحَابِ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِمْ: أَصَحُّهُمَا أَنَّهُ مُسْتَحَبٌّ لَيْسَ بِوَاجِبٍ. اهـ

قال ابن القيم في مدارج السالكين (٢ / ١٦٩):

وَقَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّهُ مُسْتَحَبٌّ، مُؤَكَّدٌ اسْتِحْبَابُهُ.

وَكَانَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - يَذْهَبُ إِلَى الْقَوْلِ بِاسْتِحْبَابِهِ.

قَالَ: وَلَمْ يَحِجَّ الْأَمْرُ بِهِ، كَمَا جَاءَ الْأَمْرُ بِالصَّبْرِ. وَإِنَّمَا جَاءَ الشَّأْنُ عَلَى أَصْحَابِهِ وَمَدَحِهِمْ. اهـ

أنواع الرضا :

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في مجموع الفتاوى (١٠ / ٦٨٢):

الرّضا نوعان:

أحدهما: الرضا بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه:

ويتناول ما أباحه الله من غير تعدّد محظور. " وهذا الرضا واجب. "

ولهذا ذم الله من تركه بقوله: ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا ﴾

وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ،

وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾

[التوبة: ٥٩]

والتَّوَعُّ الثاني: الرضا بالمصائب:

كالفقر والمرض والذلّ "وهذا رضا مستحبّ" في أحد قولي العلماء، وليس بواجب، وقد قيل: إنّه واجب،

[والصّحيح] أنّ الواجب هو الصّبر وأما الرضا مستحبّ. اهـ

الأسباب الجالبة لرضا الله على عباده ورضاهم عنه:**١ - خشية الله عزوجل في السر والعلن :**

الدليل: ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ (٨) [البينة: ٨]

قال ابن كثير **رحمه الله** في التفسير:

قوله: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ ومقام رضاء عنهم أعلى ممّا أُوتوه من النعيم المقيم،

﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ فيما منحهم من الفضل العظيم.

وقوله: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ أي: هذا الجزاء حاصل لمن خشي الله واتقاه حقّ تقواه، وعبدّه كأنّه يراه، وقد علّم أنّه إن لم يره فإنّه يراه. اهـ

٢ - عدم مودة المُحَادِّينَ لله ولدينه ورسوله وَلَوْ كَانُوا مِنَ الْأَقْرَبِينَ:

الدليل: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ،

وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي

قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

خَلِيدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ

﴿٢٢﴾ [المجادلة: ٢٢]

قال ابن كثير في تفسير :

وَفِي قَوْلِهِ: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ سِرٌّ بَدِيعٌ، وَهُوَ أَنَّهُ لَمَّا سَخِطُوا عَلَى الْقُرَائِبِ

وَالْعَشَائِرِ فِي اللَّهِ عَوَّضَهُمُ اللَّهُ بِالرِّضَا عَنْهُمْ، وَأَرْضَاهُمْ عَنْهُ بِمَا أَعْطَاهُمْ مِنَ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ، وَالْفَوْزِ الْعَظِيمِ، وَالْفَضْلِ الْعَمِيمِ.

٣- محبة صحابة رسول الله ﷺ والدعاء لهم والتأسي بهم :

الدليل : ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا

أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير :

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ رِضَاهُ عَنِ السَّابِقِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَرِضَاهُمْ عَنْهُ بِمَا أَعَدَّ لَهُمْ مِنْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ، فَالتَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ هُمْ الْمُتَّبِعُونَ لِأَثَارِهِمُ الْحَسَنَةِ وَأَوْصَافِهِمُ الْجَمِيلَةِ الدَّاعُونَ لَهُمْ فِي السِّرِّ

والعلانية. اهـ

٤ - العلم بالله وبأسمائه وصفاته

قال ابن القيم في الفوائد (ص: ٩٣):

وَهَذَا الرِّضَا هُوَ بِحَسَبِ مَعْرِفَتِهِ بِعَدْلِ اللَّهِ وَحِكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ وَحَسَنِ اخْتِيَارِهِ فَكُلَّمَا كَانَ بِذَلِكَ أَعْرَفَ كَانَ بِهِ أَرْضَى. اهـ

٥ - التوكل والاعتماد والثقة بالله :

قال ابن القيم في مدارج السالكين (٢ / ١٧٢):

فَإِنَّ الرِّضَا آخِرُ التَّوَكُّلِ. فَمَنْ رَسَخَ قَدَمُهُ فِي التَّوَكُّلِ وَالتَّسْلِيمِ وَالتَّفْوِضِ: حَصَلَ لَهُ الرِّضَا وَلَا بُدَّ. اهـ

٦ - أن يلزم العبد ما يرضي الله من فعل الطاعات واجتناب المحرمات

قال ابن القيم في مدارج السالكين (٢ / ١٧٢):

وَمِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ حُصُولِ الرِّضَا: أَنْ يَلْزِمَ مَا جَعَلَ اللَّهُ رِضَاهُ فِيهِ. فَإِنَّهُ يُوصِلُهُ إِلَى مَقَامِ الرِّضَا وَلَا بُدَّ. اهـ

قول الناظم : (قَدْ أَصْبَحُوا فِي جَنَّةٍ وَأَمَانَ)

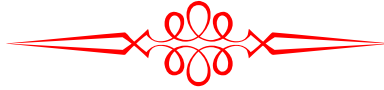
هذا فيه بيان ثمرة هذه المنزلة العظيمة :

قال ابن القيم في مدارج السالكين (٢ / ١٧٢):

أَتْنَى عَلَى أَهْلِهِ، وَأَخْبَرَ أَنَّ ثَوَابَهُ رِضَاهُ عَنْهُمْ، الَّذِي هُوَ أَعْظَمُ وَأَكْبَرُ وَأَجَلُّ مِنَ الْجَنَانِ وَمَا فِيهَا. فَمَنْ رَضِيَ عَنْ رَبِّهِ ^{حِيلَهُ عَنْهُ}. اهـ

وجاء في الصحيحين: عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَقُولُونَ لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ:

وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبِّ وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ؟ فَيَقُولُ أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: "أَحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا". مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ



المنزلة الحادية عشر من منازل السائرين إلى الله

منزلة الشكر

١٠ - شَكْرُوا الَّذِي أَوْلَى الْخَلَائِقَ فَضْلَهُ بِالْقَلْبِ وَالْأَقْوَالِ وَالْأَرْكَانِ

الشرح

في هذا البيت ذكر الإمام السعدي منزلة من منازل السائرين إلى الله منزلة الشكر، وهذه المنزلة أعلى من منزلة الرضا.

قال الفيروز ابادي - رَحِمَهُ اللهُ تعالى:

الشُّكْرُ أعلى منازل السَّالِكِينَ، وفوق منزلة الرضا، فإنه يتضمَّن الرِّضَا وزيادة، والرِّضَا مندرج في الشُّكْرِ، إذ يستحيل وجود الشُّكْرِ بدونه، وهو نصف الإيمان.

قول الناظم : (شَكْرُوا الَّذِي أَوْلَى الْخَلَائِقَ فَضْلَهُ)

الكلام على الشكر في مسائل منها :

تعريف الشكر :

الشكر لغة : قال في مختار الصحاح (ص: ١٦٧):

(الشُّكْرُ) الثَّنَاءُ عَلَى الْمُحْسِنِ بِمَا أَوْلَاكَهُ مِنَ الْمَعْرُوفِ. اهـ

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في مدارج السالكين (٢/ ٢٣٤):

وَأَصْلُ الشُّكْرِ فِي وَضْعِ اللِّسَانِ: طُهُورُ أَثَرِ الْغِذَاءِ فِي أَبْدَانِ الْحَيَوَانِ طُهُورًا بَيِّنًا. يُقَالُ: شَكَرَتِ الدَّابَّةُ إِذَا ظَهَرَ عَلَيْهَا أَثَرُ الْعَلْفِ.

الْجِلُّ الزَّاهِرَةُ

وَكَذَلِكَ حَقِيقَتُهُ فِي الْعُبُودِيَّةِ. وَهُوَ ظُهُورُ أَثَرِ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى لِسَانِ عَبْدِهِ: ثَنَاءٌ وَاعْتِرَافًا. وَعَلَى قَلْبِهِ: شُحُودًا وَمَحَبَّةً. وَعَلَى جَوَارِحِهِ: انْقِيَادًا وَطَاعَةً.

وَالشُّكْرُ مَبْنِيٌّ عَلَى خَمْسٍ قَوَاعِدَ: خُضُوعُ الشَّاكِرِ لِلْمَشْكُورِ.. وَحُبُّهُ لَهُ..

وَاعْتِرَافُهُ بِنِعْمَتِهِ.. وَثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ بِهَا.. وَأَنْ لَا يَسْتَعْمِلَهَا فِيمَا يَكْرَهُ..

فَهَذِهِ الْخَمْسُ: هِيَ أَسَاسُ الشُّكْرِ. وَبِنَاؤُهُ عَلَيْهَا. فَمَتَى عُدِمَ مِنْهَا وَاحِدَةٌ:

اخْتَلَّ مِنْ قَوَاعِدِ الشُّكْرِ قَاعِدَةٌ. اهـ

مَنْزِلَةُ الشُّكْرِ

قال ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ** مدارج السالكين (٢ / ٢٣٢):

وَمِنْ مَنَازِلِ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] مَنْزِلَةُ الشُّكْرِ.

وَهِيَ مِنْ أَعْلَى الْمَنَازِلِ. وَهِيَ فَوْقَ مَنْزِلَةِ الرِّضَا وَزِيَادَةٍ. فَالرِّضَا مُنْدَرِجٌ فِي الشُّكْرِ. إِذْ يَسْتَحِيلُ وُجُودُ الشُّكْرِ بِدُونِهِ.

وَهُوَ نِصْفُ الْإِيمَانِ - كَمَا تَقَدَّمَ - وَالْإِيمَانُ نِصْفَانِ: نِصْفُ شُكْرٍ. وَنِصْفُ صَبْرٍ.

وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ بِهِ. وَنَهَى عَنْ ضِدِّهِ، وَأَثْنَى عَلَى أَهْلِهِ. وَوَصَفَ بِهِ خَوَاصَّ خَلْقِهِ.

وَجَعَلَهُ غَايَةَ خَلْقِهِ وَأَمْرِهِ. وَوَعَدَ أَهْلَهُ بِأَحْسَنِ جَزَائِهِ. وَجَعَلَهُ سَبَبًا لِلْمَزِيدِ مِنْ

فَضْلِهِ. وَحَارِسًا وَحَافِظًا لِنِعْمَتِهِ. وَأَخْبَرَ أَنَّ أَهْلَهُ هُمُ الْمُتَنَفِعُونَ بِآيَاتِهِ. وَاشْتَقَّ لَهُمْ

أَسْمًا مِنْ أَسْمَائِهِ. فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الشَّكُورُ وَهُوَ يُوصِلُ الشَّاكِرَ إِلَى مَشْكُورِهِ بَلْ يُعِيدُ

الشَّاكِرَ مَشْكُورًا. وَهُوَ غَايَةُ الرَّبِّ مِنْ عَبْدِهِ. وَأَهْلُهُ هُمُ الْقَلِيلُ مِنْ عِبَادِهِ.

وَسَمَّى نَفْسَهُ شَاكِرًا وَشَكُورًا: وَسَمَّى الشَّاكِرِينَ بِهَذَيْنِ الْأَسْمَيْنِ. فَأَعْطَاهُمْ مِنْ وَصْفِهِ. وَسَمَّاهُمْ بِاسْمِهِ. وَحَسْبُكَ هَذَا مَحَبَّةً لِلشَّاكِرِينَ وَفَضْلًا. اهـ

الأدلة على هذه المنزلة :

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (١٧) [العنكبوت: ١٧]

، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (١٤٤) [آل عمران: ١٤٤]

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رَبُّكُمْ لِنِ شِكْرْتُمْ لِأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ

عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (٧) [إبراهيم: ٧]

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (٥) [إبراهيم: ٥]

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ (الرُّم: ٧)

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ (سبأ: ١٣)

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ وَالْمَغِيرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَامَ حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ. فَقِيلَ لَهُ: تَفْعَلْ هَذَا وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ فَقَالَ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟» .

قول الناظم : (بِالْقَلْبِ وَالْأَقْوَالِ وَالْأَرْكَانِ)

في هذا الشطر من البيت بين الناظم أن الشكر: يكون بالقلب واللسان والجوارح ويكون مقابل النعمة.

قال ابن القيم في مدارج السالكين (٢ / ٢٣٧):

الشُّكْرُ يَكُونُ بِالْقَلْبِ خُضُوعًا وَاسْتِكَانَةً، وَبِاللِّسَانِ ثَنَاءً وَاعْتِرَافًا، وَبِالْجَوَارِحِ طَاعَةً وَانْقِيَادًا.

قَالَ الشَّاعِرُ:

أَفَادَتْكُمْ النِّعْمَاءُ مِنِّي ثَلَاثَةً يَدِي وَلِسَانِي وَالضَّمِيرَ الْمُحَجَّبَا. اهـ

قال العلامة السعدي في تعليقه:

الشكر يكون بالقلب، وهو: الإعراف بنعم الله، والإقرار بها، وعدم رؤية نفسه لها أهلاً، بل هي محض فضل ربه.

ويكون باللسان، وهو: الثناء على الله بها، والتحدث بها.

ويكون بالجوارح، وهو: كفها عن معاصي الله، والاستعانة بنعمه على طاعته، فإن أعطاه شيئاً من الدنيا شكره عليه، وإن زوى عنه شيئاً منها شكره أيضاً، إذ ربما كانت نعمته عليه صارفةً منه شراً أعظم منها، وإن وفقه لطاعة من الطاعات رأى المنّة لله في توفيقه لها وشكره عليها. اهـ

مسألة: الفرق بين الحمد والشكر؟

الْحَمْدُ: هُوَ الثَّنَاءُ بِاللِّسَانِ عَلَى الْجَمِيلِ الْاِخْتِيَارِيِّ، وقد يكون مقابل نِعْمَةٍ وقد يكون لغيرها؛

وَأَمَّا الشُّكْرُ: فَيَكُونُ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ؛ ويكون مقابل النِّعْمَةِ خَاصَّةً، وَعَلَى هَذَا؛ فَيَبِينُ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ عَمُومٌ وَخُصُوصٌ مِنْ وَجْهِ،

يَجْتَمِعَانِ فِي الثَّنَاءِ: بِاللِّسَانِ عَلَى النِّعْمَةِ، وينفردُ الْحَمْدُ فِي الثَّنَاءِ بِاللِّسَانِ عَلَى مَا لَيْسَ بِنِعْمَةٍ مِنَ الْجَمِيلِ الْاِخْتِيَارِيِّ كَالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ، وينفردُ الشُّكْرُ بِالثَّنَاءِ: بِالْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ عَلَى خُصُوصِ النِّعْمَةِ. فَالْحَمْدُ أَعَمُّ مُتَعَلِّقًا، وَأَخْصُّ آلَةً، وَالشُّكْرُ بِالْعَكْسِ.

[راجع شرح العقيدة الواسطية للهراس (ص: ٥١)]

فائدة : كَانَ مِنْ هَدِيهِ صلى الله عليه وسلم أَصْحَابِهِ سُجُودَ الشُّكْرِ عِنْدَ تَجَدُّدِ نِعْمَةٍ تَسْرُ .
 كَمَا جَاءَ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه ، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم ، «كَانَ إِذَا آتَاهُ أَمْرٌ يَسْرُهُ، خَرَّ لِلَّهِ سَاجِدًا
 شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى» أخرجه أبو داود والترمذي وحسنه الألباني .
 وَأَخْرَجَ ابْنُ مَاجَهْ، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه ، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم ، «بُشِّرَ بِحَاجَةٍ، فَخَرَّ لِلَّهِ سَاجِدًا»
 والحديث بمجموع طرقه حسن. راجع الإرواء (٢/ ٢٢٨) .

سئلت اللجنة الدائمة - ٢ (٦/ ١٧٠) :

ما هي كيفية سجود الشكر ومتى يستحب فعلها وما هو الدعاء فيها؟ نريد من
 سماحتكم توضيحاً كاملاً ومفصلاً؟

ج: سجدة الشكر يشرع فعلها عندما يحدث للإنسان المسلم نعمة كان يتمناها
 و ينتظرها أو ينجو من كرب ومكروه وقع به أو أوشك على الوقوع به، فإذا سلم
 من ذلك أو حصلت له نعمة والمطلوب الذي كان يتمناه فإنه يسن له أن يسجد لله
 سجدة واحدة يسبح الله فيها ويشكره على حصول النعمة وزوال المكروه، ولا
 يشترط لها الوضوء.

فيسجد وإن كان على غير طهارة. أهـ

فائدة : من أسباب زوال النعمة عدم شكرها ، لذلك أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِشُكْرِهِ وَوَعَدَ
 عَلَى شُكْرِهِ بِمَزِيدٍ الْخَيْرِ فَقَالَ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ
 وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]

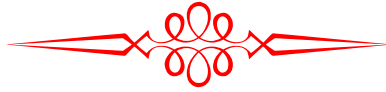
قال ابن القيم في طريق الهجرتين (ص: ٦٤):

إن الله سبحانه ما عنده لا ينال إلا بطاعته، وأنه ما استجلبت نعم الله بغير طاعته، ولا استديمتم بغير شكره، ولا عوقت وامتنت بغير معصيته، فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم:

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ

عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنفال: ٥٣]

إِذَا كُنْتَ فِي نِعْمَةٍ فَارْعَهَا فَإِنَّ الْمَعَاصِيَ تُزِيلُ النِّعَمَ



المنزلة الحادية عشر من منازل السائرين إلى الله

منزلة التوكل

١١- صَحِبُوا التَّوَكُّلَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ مَعَ بَذْلِ جُهِدٍ فِي رِضَى الرَّحْمَنِ

الشرح

في هذا البيت ذكر الإمام السعدي رحمته الله منزلة من منازل السائرين إلى الله وهي منزلة التوكل.

قول الناظم : (صَحِبُوا التَّوَكُّلَ)

أي لازموا التوكل والإعتماد على الله فهم لا يفارقونه، فأصبح كالصاحب الذي لا يفارق، وكالرفيق الذي لا يترك؛ لعلمهم أنهم لا حول لهم ولا قوة إلا بالله، فهم بالله معتمدون، وعلى الله واثقون.

تعريف التوكل :

التوكل لغة : الإعتماد والتفويض قال ابن الأثير: ووكلت أمري إلى فلان: إذا اعتمدت عليه، ووكل فلان فلاناً: إذا استكفاه أمره ثقةً بكفايته أو عجزاً عن القيام بأمر نفسه.

التوكل شرعاً :

قال شيخ الإسلام في العبودية (ص: ٧٥):

﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣] فَإِنَّ التَّوَكُّلَ هُوَ الْإِسْتِعَانَةُ وَهِيَ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ لَكِنْ خَصَتْ بِالذِّكْرِ لِيَقْصِدَهَا الْمُتَعَبِّدُ بِخُصُوصِهَا فَإِنَّهَا هِيَ الْعَوْنُ عَلَى سَائِرِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ إِذْ هُوَ سُبْحَانَهُ لَا يُعْبَدُ إِلَّا بِمَعُونَتِهِ. اهـ

قال ابن رجب في جامع العلوم (٢ / ٤٩٧):

وَحَقِيقَةُ التَّوَكُّلِ: هُوَ صِدْقُ اعْتِمَادِ الْقَلْبِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي اسْتِجْلَابِ الْمَصَالِحِ، وَدَفْعِ الْمَضَارِّ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ كُلِّهَا. اهـ

قول الناظم : (فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ)

أي: الدينية والدنيوية والأخروية.

قال ابن القيم في كتابه الفوائد (ص: ٨٦):

التَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ نَوْعَانِ :

أحدهما: توكل عَلَيْهِ فِي جلب حوائج العبد ، وحظوظه الدُّنْيَوِيَّةِ أو دفع مكروهاته ومصائبه الدُّنْيَوِيَّةِ .

والثاني: التَّوَكُّلُ عَلَيْهِ فِي حُصُولِ مَا يُحِبُّهُ هُوَ ويرضاه من الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ وَالْجِهَادِ والدعوة إِلَيْهِ.

وَبَيْنَ النَّوْعَيْنِ مِنَ الْفَضْلِ مَا لَا يُخَصِّصُهُ إِلَّا اللَّهُ فَامْتَنَى تَوَكُّلَ عَلَيْهِ الْعَبْدُ فِي النَّوْعِ الثَّانِي حَقَّ تَوَكُّلِهِ كَفَاهُ النَّوْعُ الْأَوَّلُ تَمَامَ الْكَفَايَةِ، وَمَتَى تَوَكَّلَ عَلَيْهِ فِي النَّوْعِ الْأَوَّلِ دُونَ الثَّانِي كَفَاهُ أَيْضًا لَكِنْ لَا يَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ فِيمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ فَأَعْظَمَ التَّوَكُّلُ عَلَيْهِ التَّوَكُّلُ فِي الْهُدَايَةِ وَتَجْرِيدِ التَّوْحِيدِ وَمَتَابَعَةِ الرَّسُولِ وَجِهَادِ أَهْلِ الْبَاطِلِ فَهَذَا تَوَكُّلُ الرَّسُلِ وَخَاصَّةً أَتْبَاعَهُمْ. اهـ

قال العثيمين في القول المفيد (٢ / ٨٧):

والتوكل: هو الاعتماد على الله - سبحانه وتعالى - في حصول المطلوب، ودفع المكروه، مع الثقة به، وفعل الأسباب المأذون فيها، وهذا أقرب تعريف له. اهـ

منزلة التوكل :

قال ابن القيم في مدارج السالكين (٢ / ١١٣):

التَّوَكَّلْ نِصْفُ الدِّينِ. وَالنِّصْفُ الثَّانِي الْإِنَابَةُ، فَإِنَّ الدِّينَ اسْتِعَانَةٌ وَعِبَادَةٌ. فَالتَّوَكَّلْ هُوَ الْإِسْتِعَانَةُ، وَالْإِنَابَةُ هِيَ الْعِبَادَةُ.

وَمَنْزِلَتُهُ أَوْسَعُ الْمَنَازِلِ وَأَجْمَعُهَا. وَلَا تَزَالُ مَعْمُورَةً بِالنَّازِلِينَ، لِسَعَةِ مُتَعَلِّقِ التَّوَكَّلِ، وَكَثْرَةِ حَوَائِجِ الْعَالَمِينَ، وَعُمُومِ التَّوَكَّلِ، وَوُقُوعِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِ، وَالْأَبْرَارِ وَالْفَجَّارِ، وَالطَّيْرِ وَالْوَحْشِ وَالْبَهَائِمِ. فَأَهْلُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ - الْمُكَلَّفُونَ وَغَيْرُهُمْ - فِي مَقَامِ التَّوَكَّلِ، وَإِنْ تَبَايَنَ مُتَعَلِّقُ تَوَكُّلِهِمْ. فَأَوْلِيَاؤُهُ وَخَاصَّتُهُ يَتَوَكَّلُونَ عَلَيْهِ فِي الْإِيمَانِ، وَنُصْرَةِ دِينِهِ، وَإِعْلَاءِ كَلِمَتِهِ، وَجِهَادِ أَعْدَائِهِ، وَفِي مُحَابَبِهِ وَتَنْفِيزِ أَوْامِرِهِ. اهـ

الأدلة على وجوب التوكل وفضيلته :

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٢٣﴾ [المائدة: ٢٣]

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٦٠﴾ [آل عمران: ١٦٠]

قال العلامة السعدي في تفسيره:

فعلم بهذا وجوب التوكل، وأنه من لوازم الإيمان، ومن العبادات الكبار التي يحبها الله ويرضاها، لتوقف سائر العبادات عليه اهـ،

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ ﴿٣﴾ [الطلاق: ٣]

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ ﴿٨١﴾ [النساء: ٨١]

، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [١٥٩] [آل عمران: ١٥٩]

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [٢] [الأنفال: ٢].
وَالْقُرْآنُ مَمْلُوءٌ مِنْ ذَلِكَ.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ - عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي حَدِيثِ السَّبْعِينَ أَلْفًا الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ - «هُمْ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَلَا يَكْتَتُونَ، وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ».

قال شيخ الإسلام في الفتاوى الكبرى (١ / ١٠٦):
قَوْلُهُ: «يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتَهُ فَاسْتَطْعَمُونِي أُطْعِمْكُمْ، وَكُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتَهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ»

فَيَقْتَضِي أَصْلَيْنِ عَظِيمَيْنِ: أَحَدُهُمَا. وَجُوبُ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ فِي الرِّزْقِ الْمُتَضَمِّنِ جَلْبَ الْمُنْفَعَةِ، كَالطَّعَامِ، وَدَفْعَ الْمَضَرَّةِ كَاللِّبَاسِ، وَأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ غَيْرُ اللَّهِ عَلَى الْإِطْعَامِ وَالْكِسْوَةِ قُدْرَةً مُطْلَقَةً. وَإِنَّمَا الْقُدْرَةُ الَّتِي تَحْصُلُ لِبَعْضِ الْعِبَادِ تَكُونُ عَلَى بَعْضِ أَسْبَابِ ذَلِكَ. اهـ

قول النناظم : (مع بذل جهد في رضى الرحمن)

في هذا البيت بيان أن الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل.

قال الشنقيطي في أضواء البيان (٣ / ٣٩٨):

وَهَذَا أَمْرٌ كَالْمَعْلُومِ مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ أَنَّ الْأَخْذَ بِالْأَسْبَابِ فِي تَحْصِيلِ الْمَنَافِعِ وَدَفْعِ الْمَضَارِّ فِي الدُّنْيَا أَمْرٌ مَأْمُورٌ بِهِ شَرْعًا لَا يُنَافِي التَّوَكُّلَ عَلَى اللَّهِ بِحَالٍ ؛ لِأَنَّ

المُكَلَّفَ يَتَعَاطَى السَّبَبَ امْتِثَالًا لِأَمْرِ رَبِّهِ مَعَ عِلْمِهِ وَيَقِينُهُ أَنَّهُ لَا يَقَعُ إِلَّا مَا يَشَاءُ اللَّهُ
وُقُوعَهُ . اهـ

قال العثيمين في القول المفيد (٢ / ٨٧):

ولا بد في التوكل على الله من أمرين:

الأول: أن يكون الاعتماد على الله اعتقادا صادقا حقيقيا.

الثاني: فعل الأسباب المأذون فيها.

فمن جعل أكثر اعتماده على الأسباب؛ نقص توكله على الله، ويكون قادحا في كفاية الله؛ فكانه جعل السبب وحده هو العمدة فيما يصبو إليه من حصول المطلوب وزوال المكروه.

ومن جعل اعتماده على الله ملغيا للأسباب، فقد طعن في حكمة الله؛ لأن الله جعل لكل شيء سببا.

فمن اعتمد على الله، اعتمادا مجردا، كان قادحا في حكمة الله؛ لأن الله حكيم، يربط الأسباب بمسبباتها، كمن يعتمد على الله في حصول الولد وهو لا يتزوج. والنبى ﷺ أعظم المتوكلين، ومع ذلك كان يأخذ بالأسباب؛ فكان يأخذ الزاد في السفر، ولما خرج إلى أحد ظاهر بين درعين؛ ولما خرج مهاجرا أخذ من يده الطريق ولم يقل سأذهب مهاجرا وأتوكل على الله. اهـ

قال العلامة السعدي في تعليقه:

من استعان بالله وتوكل عليه، مع تركه الإجهاد اللازم له، فهذا ليس بتوكل، بل عجز ومهانة،

وكذلك من يبدل اجتهاده، ويعتمد على نفسه، ولا يتوكل على ربه، فهو مخذول. اهـ

مسألة : أقسام التوكل:

قال الشيخ العثيمين في القول المفيد (٢ / ٩٠):

والتوكل ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: توكل عبادة وخضوع، وهو الاعتماد المطلق على من توكل عليه، بحيث يعتقد أن بيده جلب النفع ودفع الضرر؛ فيعتمد عليه اعتمادا كاملا، مع شعوره بافتقاره إليه؛ فهذا يجب إخلاصه لله تعالى.

ومن صرفه لغير الله "فهو مشرك شركا أكبر" كالذين يعتمدون على الصالحين من الأموات والغائبين، وهذا لا يكون إلا ممن يعتقد أن هؤلاء تصرفا خفيا في الكون، فيعتمد عليهم في جلب المنافع ودفع المضار.

الثاني: الاعتماد على شخص في رزقه ومعاشه وغير ذلك، وهذا من الشرك الأصغر، وقال بعضهم: من الشرك الخفي، مثل اعتماد كثير من الناس على وظيفته في حصول رزقه، ولهذا تجد الإنسان يشعر من نفسه أنه معتمد على هذا اعتماد افتقار؛ فتجد في نفسه من المحاباة لمن يكون هذا الرزق عنده ما هو ظاهر؛ فهو لم يعتقد أنه مجرد سبب، بل جعله فوق السبب.

الثالث: أن يعتمد على شخص فيما فوض إليه التصرف فيه،

كما لو وكلت شخصا في بيع شيء أو شرائه، وهذا لا شيء فيه؛ لأنه جعله نائبا عنه.

والنبي ﷺ وكل علي بن أبي طالب عليه السلام؛ أن يذبح ما بقي من هديه، وוכל أبا هريرة عليه السلام على الصدقة، وוכל عروة بن الجعد عليه السلام أن يشتري له أضحية. اهـ

مسألة : ثمرة التوكل :

من ثماره أن الله كافي من توكل عليه :

قال ابن القيم في مدارج السالكين (٢ / ١٢٨) :

قَالَ فِي التَّوَكُّلِ : ﴿ وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ

أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٢﴾ [الطلاق : ٣]

فَانْظُرْ إِلَى هَذَا الْجُزْأِ الَّذِي حَصَلَ لِلْمُتَوَكِّلِ، وَلَمْ يَجْعَلْهُ لِغَيْرِهِ. وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ التَّوَكُّلَ أَقْوَى السُّبُلِ عِنْدَهُ وَأَحَبُّهَا إِلَيْهِ. اهـ

أنه يبلغ بالعبد إلى منزلة الرضا.

قال ابن رجب في جامع العلوم (٢ / ٥٠٨) : وَاعْلَمْ أَنَّ ثَمَرَةَ التَّوَكُّلِ الرِّضَا

بِالْقَضَاءِ. اهـ



المنزلة الثالثة عشر من منازل السائرين إلى الله

منزلة الإحسان

١٢- عَبْدُوا إِلَهَ عَلَى اعْتِقَادِ حُضُورِهِ فَتَبَوَّءُوا فِي مَنْزِلِ الْإِحْسَانِ

الشَّيْخُ

في هذا البيت ذكر الإمام السعدي رحمته الله منزلة من منازل السائرين إلى الله وهي منزلة الإحسان وهي من أجل منازلهم .

قول الناظم : (عَبَدُوا إِلَهَ)

قال شيخ الاسلام رحمته الله في العبودية (ص: ٤٤):

الْعِبَادَةُ : هِيَ اسْمُ جَامِعٍ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ.

فَالصَّلَاةُ وَالزَّكَاةُ وَالصِّيَامُ وَالْحَجُّ وَصَدَقَ الْحَدِيثُ وَأَدَاءُ الْأَمَانَةِ وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ وَصَلَةُ الْأَرْحَامِ وَالْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْجُهَادُ لِلْكَفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَالْإِحْسَانُ لِلْجَارِ وَالْيَتِيمِ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَالْمَمْلُوكِ مِنَ الْأَدَمِيِّينَ وَالْبَهَائِمِ وَالِدُّعَاءُ وَالذِّكْرُ وَالْقِرَاءَةُ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ مِنَ الْعِبَادَةِ.

وَكَذَلِكَ حُبُّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَخَشْيَةُ اللَّهِ وَالْإِنَابَةُ إِلَيْهِ وَإِخْلَاصُ الدِّينِ لَهُ وَالصَّبْرُ لِحُكْمِهِ وَالشُّكْرُ لِنِعَمِهِ وَالرِّضَا بِقَضَائِهِ وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ وَالرَّجَاءُ لِرَحْمَتِهِ وَالْخَوْفُ مِنْ عَذَابِهِ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ هِيَ مِنَ الْعِبَادَةِ لله.. اهـ

فائدة : ذكر الإمام النجدي رَحِمَهُ اللهُ في كتابه الجامع :

فان قيل : لك ما الجامع لعبادة الله وحده ؟

قلت : طاعته بامثال أوامره واجتناب نواهيه.

والعبادة تنقسم إلى أربعة أقسام :

١- **عبادة قلبية :** كالخوف والرجاء والمحبة والتوكل ولا يجوز صرفها لغير

الله ومن صرفها لغير الله فقد أشرك

٢- **عبادة قولية :** كتلاوة القرآن والتسبيح والدعاء والإستعاذة...

٣- **عبادة بدنية :** كالحج والصلاة وطلب العلم.

٤- **عبادة مالية :** مثل الزكاة، والصدقات، والذبائح، والנדور، وتجتمع

العبادات الأربع في الحج.

٥- **عبادة تركية :** وهي ترك المحرمات والمكروهات.

[راجع العدة في شرح الجامع لعبادة الله وحده لأم عامر]

قول الناظم : (فَتَبَوَّعُوا فِي مَنْزِلِ الْإِحْسَانِ).

قوله : «تَبَوَّعُوا» بمعنى نزلوا، لأن التبوء النزول في المكان

(تبوأ) الْمَكَانَ نَزَلَهُ وَأَقَامَ بِهِ وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزُ ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾

[الحشر: ٩] اهـ [راجع المعجم الوسيط (١ / ٧٥)].

ونسبته إلى الإحسان: أي باعتبار جعله مستقرًا وموطنًا حيث استقرت به نفوسهم

واطمأنت إليه قلوبهم.

تعريف الإحسان :

لغة: إتقان الشيء وإتمامه، مأخوذ من الحسن، وهو الجمال، ضد القبح.

قال العلامة حافظ حكيم في معارج القبول (٣ / ٩٩٩):

واصطلاحاً: قَدْ فَسَّرَهُ النَّبِيُّ ﷺ - تَفْسِيرًا لَا يَسْتَطِيعُهُ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ أَحَدٌ غَيْرُهُ

- لِمَا أَعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ .

فَقَالَ ﷺ: «الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»

أَخْبَرَ ﷺ أَنَّ مَرْتَبَةَ الْإِحْسَانِ عَلَى دَرَجَتَيْنِ، وَأَنَّ لِلْمُحْسِنِينَ فِي الْإِحْسَانِ مَقَامَيْنِ

مُتَفَاوَتَيْنِ:

المَقَامُ الْأَوَّلُ: وَهُوَ أَعْلَاهُمَا - أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، وَهَذَا مَقَامُ الْمَشَاهِدَةِ، وَهُوَ أَنْ يَعْمَلَ الْعَبْدُ عَلَى مُقْتَضَى مُشَاهَدَتِهِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِقَلْبِهِ، وَهُوَ أَنْ يَتَنَوَّرَ الْقَلْبُ بِالْإِيمَانِ وَتَنْفُذِ الْبَصِيرَةِ فِي الْعُرْفَانِ حَتَّى يَصِيرَ الْغَيْبُ كَالْعَيَانِ، فَمَنْ عَبْدَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى اسْتِحْضَارِ قُرْبِهِ مِنْهُ وَإِقْبَالِهِ عَلَيْهِ وَأَنَّهُ بَيْنَ يَدَيْهِ كَأَنَّهُ يَرَاهُ أَوْجَبَ لَهُ ذَلِكَ الْحُسْنَى وَالْخَوْفَ وَالْهَيْبَةَ وَالتَّعْظِيمَ،

المَقَامُ الثَّانِي: مَقَامُ الْإِخْلَاصِ، وَهُوَ أَنْ يَعْمَلَ الْعَبْدُ عَلَى اسْتِحْضَارِ مُشَاهَدَةِ اللَّهِ إِيَّاهُ وَإِطْلَاعِهِ عَلَيْهِ وَقُرْبِهِ مِنْهُ، فَإِذَا اسْتَحْضَرَ الْعَبْدُ هَذَا فِي عَمَلِهِ وَعَمِلَ عَلَيْهِ فَهُوَ مُخْلِصٌ لِلَّهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّ اسْتِحْضَارَهُ ذَلِكَ فِي عَمَلِهِ يَمْنَعُهُ مِنَ الْإِلْتِفَاتِ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ وَإِرَادَتِهِ بِالْعَمَلِ. وَهَذَا الْمَقَامُ هُوَ الْوَسِيلَةُ الْمَوْصِلَةُ إِلَى الْمَقَامِ الْأَوَّلِ. اهـ

منزلة الأحسان :

قال ابن القيم في مدارج السالكين (٢ / ٤٢٩):

مَنْزِلَةُ الْإِحْسَانِ : وَهِيَ لُبُّ الْإِيمَانِ، وَرُوحُهُ وَكَمَالُهُ، وَهَذِهِ الْمَنْزِلَةُ تَجْمَعُ جَمِيعَ الْمَنَازِلِ. فَجَمِيعُهَا مُنْطَوِيَةٌ فِيهَا، فَالْإِحْسَانُ: جَامِعٌ لِّجَمِيعِ أَبْوَابِ الْحَقَائِقِ. وَهُوَ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ. اهـ

قال العلامة السعدي في تعليقه:

وهذه المنزلة من أعظم المنازل وأجلها، ولكنها تحتاج إلى تدرج للنفوس شيئاً فشيئاً.

ولا يزال العبد يعودها نفسه حتى تنجذب إليها وتعتادها، فيعيش العبد قريراً العين بربه، وفرحاً مسروراً بقربه. اهـ

ثمار الإحسان وفضله :**١ - نيل محبة الله عزوجل في الدنيا .**

الدليل قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣]

قال الشيخ العثيمين في شرح العقيدة الواسطية (ص: ٢٢٦):

هذا تعليل للأمر، فهذا ثواب المحسن، أن الله يحبه ومحبة الله مرتبة عالية عظيمة، والله إن محبة الله لتشتري بالدنيا كلها. اهـ

٢ - توفيق الله له بمعيته ونصره وتأيده في الدنيا :

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]

[النحل: ١٢٨]

الْجُلُّ الزَّاهِرَةُ

قال ابن كثير في تفسيره (٤ / ٦١٥): أَي: مَعَهُمْ بِتَأْيِيدِهِ وَنَصْرِهِ وَمَعُونَتِهِ وَهَذِهِ مَعِيَّةٌ خَاصَّةٌ، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (١٣٨) أَي: فَعَلُوا الطَّاعَاتِ، فَهَؤُلَاءِ اللَّهُ يَحْفَظُهُمْ وَيَكْلُؤُهُمْ، وَيَنْصُرُهُمْ وَيُؤَيِّدُهُمْ، وَيُظْفِرُهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ وَمُخَالِفِيهِمْ. اهـ

٣- أن رحمة الله قربية من أهل الإحسان:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٥٦) [الأعراف: ٥٦]

قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (١٥ / ٢٧):

وَأِنَّمَا أُخْتَصَّ أَهْلُ الْإِحْسَانِ بِقُرْبِ الرَّحْمَةِ لِأَنَّهَا إِحْسَانٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ وَإِحْسَانُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِنَّمَا يَكُونُ لِأَهْلِ الْإِحْسَانِ؛ لِأَنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ وَكُلَّمَا أَحْسَنُوا بِأَعْمَالِهِمْ أَحْسَنَ إِلَيْهِمْ بِرَحْمَتِهِ وَأَمَّا مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْإِحْسَانِ فَإِنَّهُ لَمَّا بَعُدَ عَنِ الْإِحْسَانِ بَعُدَتْ عَنْهُ الرَّحْمَةُ بَعْدُ بَعْدُ وَقُرْبُ بَقُرْبٍ فَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيْهِ بِالْإِحْسَانِ تَقَرَّبَ اللَّهُ إِلَيْهِ بِرَحْمَتِهِ وَمَنْ تَبَاعَدَ عَنِ الْإِحْسَانِ تَبَاعَدَ اللَّهُ عَنْهُ بِرَحْمَتِهِ. وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ وَيُبْغِضُ مَنْ لَيْسَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ. اهـ

٤- الفوز بنعيم الآخرة وأعظمه رؤية الله جل وعلا:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ

أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٢٦) [يونس: ٢٦]

قال ابن كثير في تفسيره (٧ / ٤٦٦)

يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّ لِمَنْ أَحْسَنَ الْعَمَلِ فِي الدُّنْيَا بِالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ: الْحُسْنَىٰ فِي

الدار الآخرة كقوله تَعَالَى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ (٦٠) [الرحمن: ٦٠]

وقوله: ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ هي تَضْعِيفُ ثَوَابِ الْأَعْمَالِ بِالْحَسَنَةِ عَشْرَ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ وَزِيَادَةٌ عَلَى ذَلِكَ أَيْضًا، وَيَشْمَلُ مَا يُعْطِيهِمُ اللَّهُ فِي الْجَنَانِ مِنَ الْقُصُورِ وَالْحُورِ وَالرِّضَا عَنْهُمْ، وَمَا أَخْفَاهُ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ وَأَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ وَأَعْلَاهُ النَّظَرُ إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ فَإِنَّهُ زِيَادَةٌ أَعْظَمُ مِنْ جَمِيعِ مَا أُعْطِيَ لَا يَسْتَحِقُّونَهَا بِعَمَلِهِمْ بَلْ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَقَدْ رُوِيَ تَفْسِيرُ الزِّيَادَةِ بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ :

عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ وَحَدِيقَةَ بْنِ الْيَمَانِ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي لَيْلَى وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَابِطٍ وَمُجَاهِدٌ وَعِكْرِمَةُ وَعَامِرُ بْنُ سَعْدٍ وَعَطَاءٌ وَالضَّحَّاكُ وَالْحَسَنُ وَقَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ وَغَيْرُهُمْ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلْفِ.

وقد وردت فيه أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ، فمن ذلك:

مَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا عَفَّانُ، أَخْبَرَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ ثَابِتِ الْبُنَانِيِّ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى عَنْ صَهيب رحمته الله أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ :

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾

وَقَالَ صلی اللہ علیہ وسلم : « إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ نَادَى مُنَادٍ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَوْعِدًا يُرِيدُ أَنْ يُنْجِزَ كُفْمُوهُ فَيَقُولُونَ: وَمَا هُوَ أَلَمْ يَنْقُلْ مُوَاظِنَنَا؟ أَلَمْ يَبْيَضْ وَجُوهُنَا وَيَدْخُلْنَا الْجَنَّةَ وَيُجْرِنَا مِنَ النَّارِ - قَالَ - فَيَكْشِفُ لَهُمُ الْحِجَابَ فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ فَوَاللَّهِ مَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ وَلَا أَقَرَّ لِأَعْيُنِهِمْ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْأَئِمَّةِ .. اهـ

أنواع الأحسان:

قال العثيمين في تفسيره (١ / ٢٠١): الأحسان على نوعين:

الأول: إحسان في عبادة الله:

وقد فسر رسول الله ﷺ بقوله: «أن تعبد الله كأنك تراه؛ فإن لم تكن تراه فإنه يراك» .. ويكون بإتقان العمل وإخلاصه لله، وهذا النوع من الإحسان من الواجبات.

ثانياً: إحسان بين العبد وبين الناس.

قال الشيخ العثيمين في شرح الواسطية (ص: ٢٢٥):

وأما الإحسان بالنسبة لمعاملة الخلق؟ فقليل في تفسيره: بذل الندي، وكف الأذى، وطلاقة الوجه.

بذل الندي: أي: المعروف، سواء كان مالياً أو بدنياً أم جاهياً.

كف الأذى: أن لا تؤذي الناس بقولك ولا بفعلك.

وطلاقة الوجه: أن لا تكون عبوساً عند الناس. اهـ

وهذا الإحسان عام للإنسان والحيوان كما قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحَدِّدْ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِخْ ذَبِيحَتَهُ» أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ.

قال شيخ الإسلام في الفتاوى الكبرى (٥ / ٥٥٠):

وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْإِحْسَانَ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ حَالٍ حَتَّى فِي إِزْهَاقِ النَّفْسِ نَاطِقِهَا وَبَهِيمِهَا فَعَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يُحْسِنَ الْقِتْلَةَ لِلْأَدَمِيِّينَ وَالذَّبِيحَةَ لِلْبَهَائِمِ. اهـ

ثالثاً: الإحسان لمن أساء إليك: وهو داخل في القسم الثاني

قال العلامة السعدي في تفسيره (ص: ١٤٩)

ثم أمر بإحسان خاص، له موقع كبير، وهو الإحسان إلى من أساء إليك، فقال:

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ﴾ [المؤمنون: ٩٦]

أي: فإذا أساء إليك مسيء من الخلق، خصوصاً من له حق كبير عليك، كالأقارب، والأصحاب، ونحوهم، إساءة بالقول أو بالفعل، فقابله بالإحسان إليه، فإذا قابلت الإساءة بالإحسان،

حصل فائدة عظيمة. كما أخبر بذلك الله عز وجل: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤] أي: كأنه قريب شفيق.

رابعاً: إحسان الصنعة وإتقانها، إذا صنع الإنسان شيئاً أو عمل عملاً فإنه يشرع له أن يتقنه ويتمه:

لما جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى يحب إذا عمل أحدكم العمل أن يتقنه» حسن الألباني بمجموع طرقه في الصحيحة برقم: (١١١٣).

حكم الإحسان:

قوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا﴾. أمر والمأمور به قد يكون واجباً وقد يكون مندوباً إليه وضابط الإحسان الواجب هو ما يتوقف عليه أداء الواجب وما كان زائداً على ذلك فهو مندوبٌ إليه.

قال شيخ الإسلام في الجواب الصحيح (٦ / ٢١):

يَكُونُ الْأَمْرُ أَمْرٌ إِجْبَابٍ، وَأَمْرٌ اسْتِحْبَابٍ، كَمَا أَمَرَ بِالْإِحْسَانِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٩٥)

[البقرة: ١٩٥] ، وَالْإِحْسَانُ مِنْهُ وَاجِبٌ، وَمِنْهُ مُسْتَحَبٌّ. اهـ

قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم (١ / ٣٨١):

قال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ» هَذَا الْحَدِيثُ نَصٌّ فِي وَجُوبِ

الْإِحْسَانِ، وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ، فَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾

[النحل: ٩٠]

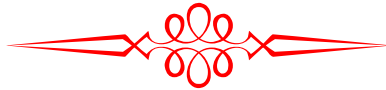
وَقَالَ: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٩٥). وَهَذَا الْأَمْرُ بِالْإِحْسَانِ تَارَةً يَكُونُ

لِلْوُجُوبِ كَالْإِحْسَانِ إِلَى الْوَالِدَيْنِ وَالْأَرْحَامِ بِمَقْدَارِ مَا يَحْصُلُ بِهِ الْبِرُّ وَالصَّلَةُ

وَالْإِحْسَانُ إِلَى الضَّيْفِ بِقَدْرِ مَا يَحْصُلُ بِهِ قِرَاهُ عَلَى مَا سَبَقَ ذِكْرُهُ. وَتَارَةً يَكُونُ

لِلنَّدْبِ كَصَدَقَةِ التَّطَوُّعِ وَنَحْوِهَا. وَهَذَا الْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى وَجُوبِ الْإِحْسَانِ فِي كُلِّ

شَيْءٍ مِنَ الْأَعْمَالِ، لَكِنَّ إِحْسَانَ كُلِّ شَيْءٍ بِحَسَبِهِ. اهـ



المنزلة الرابعة عشر من منازل السائرين

منزلة النصح للمسلمين

١٣- نَصَحُوا الْخَلِيقَةَ فِي رِضَى مَحَبَّتِهِمْ بِالْعِلْمِ وَالْإِشَادِ وَالْإِحْسَانِ
الشَّيْخُ

في هذه البيت أشار الناظم أن من منازل السائرين إلى الله النصح للمسلمين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة لهذا الدين، إمتثالاً لأمر الله ونصحا وإحسانا لعباد الله،

قول الناظم : (نَصَحُوا الْخَلِيقَةَ...):

النُّصْحُ وَالنَّصِيحَةُ وَالْمُنَاصَحَةُ: إِرَادَةُ الْخَيْرِ لِلْغَيْرِ ، وَهِيَ كَلِمَةٌ جَامِعٌ لِإِرَادَةِ الْخَيْرِ .
وَفِي النَّهْيَةِ: النَّصِيحَةُ كَلِمَةٌ يُعْبَرُ بِهَا عَنْ جُمْلَةٍ، هِيَ إِرَادَةُ الْخَيْرِ لِلْمَنْصُوحِ لَهُ،
وَلَيْسَ يُمَكِّنُ أَنْ يُعْبَرَّ عَنْ هَذَا الْمَعْنَى بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ تَجْمَعُ مَعْنَاهُ غَيْرَهَا . وَفِي شَرْحِ
الْفَصِيحِ لِلْبَيْتِ: النَّصِيحَةُ: الْإِشَادُ إِلَى مَا فِيهِ صَلَاحُ الْمَنْصُوحِ لَهُ، وَلَا يَكُونُ إِلَّا
قَوْلًا. اهـ راجع تاج العروس (٧ / ١٧٥):

وقول الناظم : (الْخَلِيقَةَ)

فيه إشارة أن النصيحة تكون لسائر المكلفين إنسا وجنا، مسلمين وكافرين، فالكافر ينصح بترك كفره والدخول في الإسلام كما قال تعالى عن نبيه نوح أنه قال لقومه:

﴿أَبْلَغُكُمْ رَسُولًا مِّن رَّبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِمَّنْ لَّا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٦٢﴾

[الأعراف: ٦٢]

وعن هود أنه قال لقومه: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ (الأعراف: ٦٨)

وَعَنْ صَالِحٍ أَنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَاتِ﴾ (الأعراف: ٧٩)

منزلة النصيحة :

قال ابن الجوزي في كشف المشكل (٤ / ٢١٩):

"الدِّينُ النَّصِيحَةُ". الْمُعْنَى أَنَّ النَّصِيحَةَ أَفْضَلُ الدِّينِ وَأَكْمَلُهُ. اهـ

قال المناوي في النفحات السلفية (ص: ١٢٧):

والنصيحة من أهم أمور الدين، وأعظمه، وبها يُقَوِّمَ اعوجاج الخلق،
وتصلح حالهم؛ لأن المؤمن للمؤمن كالمرآة، يرى عيوبه، ويكشفها، فعليه أن
ينصحه، ويبذل جهده في نصيحته وإن كانت ثقيلة على المنصوح أحياناً، وأفضل
النصيحة ما كانت سرّاً، وقصد بها وجه الله. اهـ

الأدلة على منزلة النصيحة :

والأدلة على هذه المنزلة كثيرة من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ.

فمن هذه الأدلة من القرآن :

تقدم جملة من الأدلة ذكر فيها النصيحة في القرآن على لسان بعض الأنبياء.

ومن الأدلة التي تتضمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ

وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٤)

قال ابن كثير في تفسيره :

وَالْمَقْصُودُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ، أَنْ تَكُونَ فِرْقَةً مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ مُتَّصِدِيَّةً لِهَذَا الشَّانِ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ وَاجِبًا عَلَى كُلِّ فَرْدٍ مِنَ الْأُمَّةِ بِحَسْبِهِ. اهـ

قال ابن القيم في إعلام الموقعين (٢/ ١٦١):

أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَالَ: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤] فَخَصَّ هَؤُلَاءِ بِالْفَلَاحِ

دُونَ مَنْ عَدَاهُمْ، وَالِدَّاعُونَ إِلَى الْخَيْرِ هُمُ الدَّاعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ. اهـ

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ

الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠]

قال شيخ الإسلام في الجواب الصحيح (٣/ ١٠٥):

قَدْ وَصَفَ اللَّهُ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ - ﷺ - بِأَنَّهُمْ أَنْفَعُ الْأُمَمِ لِلْخَلْقِ،

فَفِي أُمَّةِ مُحَمَّدٍ - ﷺ - مِنَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ الَّذِي فِيهِ صَلَاحُ

الْعِبَادِ فِي الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ مَا لَمْ يُوجَدْ مِثْلُهُ فِي الْأُمَّتَيْنِ. اهـ

ومن الأدلة على ذلك من السنة :

أَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ

رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ

أَضْعَفُ الْإِيْيَانِ».

الْجُلُلُ الزَّاهِرَةُ

وأخرج الشيخان: عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رحمته الله، قَالَ: «بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ»

وأخرج مسلم: عَنْ أَبِي رُقَيْةٍ تَمِيمِ الدَّارِيِّ رحمته الله أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»

قال شيخ الإسلام في جامع المسائل (٥ / ٢٣٧):

وعلى أهل الإسلام أن ينصح بعضهم لبعض كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "الدين النصيحة....، فهو لاء الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر أطباء الأديان، الذين تُشْفَى بهم القلوب المريضة، وتهتدي بهم القلوب الضالة، وترشُد بهم القلوب الغاوية، وتستقيم بهم القلوب الزائغة، وهم أعلام الهدى ومصابيح الدجى. اهـ مختصراً.

من ثمار النصح والدعوة إلى الله:

١- أنه سبب للخيرية والفلاح. كما تقدم في الأدلة السابقة.

٢- أنه لآحال أحسن من حال الداعي إلى الله.

قال ابن القيم في مفتاح دار السعادة (١ / ١٥٣):

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣٣)

[فُصِّلَتْ: ٣٣]

قَالَ الْحَسَنُ: هُوَ الْمُؤْمِنُ اجاب الله فِي دَعْوَتِهِ ودعا النَّاسَ الى مَا أَجَابَ الله فِيهِ من دَعْوَتِهِ وَعَمِلَ صَالِحًا فِي إِجَابَتِهِ فَهَذَا حَبِيبُ الله هَذَا ولي الله فمقام الدعوة الى الله افضل مقامات العبد. اهـ

٣- أنه سبب للنجاة في الدنيا من الهلاك والعقوبة.

قال الله تعالى في قصة أصحاب السبت: ﴿فَلَمَّا دَسَوْا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ أُنْجَيْنَا الَّذِينَ

يَهْتَوُونَ عَنِ الشُّرِّ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ [الأعراف: ١٦٥]

قال ابن كثير في تفسيره (٣/ ٤٤٥):

فَنَصَّ عَلَى نَجَاةِ النَّاهِيْنَ وَهَلَكَ الظَّالِمِينَ وَسَكَتَ عَنِ السَّائِكِينَ لِأَنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ. اهـ

قال السعدي في تفسيره (ص: ٣٠٧):

وهكذا سنة الله في عباده، أن العقوبة إذا نزلت نجا منها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر. اهـ

٤- أنها سبب للنجاة من الخسارة في الآخرة.

قال الله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ٣﴾ [العصر: ١-٣]

قال ابن كثير في تفسيره (٨/ ٤٥٧):

أَقْسَمَ تَعَالَى عَلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ أَيِّ فِي خَسَارَةٍ وَهَلَكَ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَاسْتثنَى مِنْ جِنْسِ الْإِنْسَانِ عَنِ الْخُسْرَانِ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِقُلُوبِهِمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِجَوَارِحِهِمْ،

وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَهُوَ آدَاءُ الطَّاعَاتِ، وَتَرْكُ الْمَحْرَمَاتِ، وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ أَيِ عَلَى الْمَصَائِبِ وَالْأَقْدَارِ وَأَذَى مَنْ يُؤْذِي مَنْ يَأْمُرُونَهُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَهُ عَنِ الْمُنْكَرِ. اهـ

قال ابن القيم في الجواب الكافي (ص: ٩٣):

لَمْ يَكْتَفِ مِنْهُمْ بِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ، حَتَّى يُوصِيَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِهِ وَيُرْشِدَهُ إِلَيْهِ وَيَحْضُهُ عَلَيْهِ. اهـ

٥- أنه من الصدقات الجارية والأجور العظيمة.

ففي صحيح مسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٌ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ» وفي صحيح مسلم: عَنْ جَرِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمَلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمَلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ».

قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (١٨ / ٢٤٥):

وَالْمُحِبِّي لِشَيْءٍ مِنْ سُنَّتِهِ لَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمَلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ نُقْصَانٍ فِي أَجْرِ طَاعَتِهِ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ؛ بَلْ يُضَاعِفُ الْحَسَنَاتِ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ. اهـ

قال الناظم قوله: (فِي رِضَى مَحْبُوبِهِمْ)

أي أن قصدهم بالدعوة إلى الله والنصح لعباد الله وجه الله ورضاه عنهم لا يريدون من ذلك مصلحة دنيوية ولا رياسة ولا مفاخرة.

ومن الأدلة على ذلك :

قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (١٦ / ٣١٤):

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ (٨٦) ﴿ص: ٨٦﴾

وَقَالَ: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنَّ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ (سبأ: ٤٧)

وَقَالَ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ (ص: ٨٦)

فَهُوَ يَعْلَمُ وَيَهْدِي وَيُصْلِحُ الْقُلُوبَ وَيَهْدِيهَا عَلَى صَلَاحِهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِلَا عَوَظٍ. وَهَذَا نَعْتُ الرُّسُلِ كُلِّهِمْ كُلُّ يَقُولُ ﴿مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾. وَلِهَذَا قَالَ صَاحِبُ يَس: ﴿يَقَوْمُ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ (٢٠) ﴿اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (٢١) ﴿يس: ٢٠-٢١﴾

و هَذِهِ سَبِيلٌ مَنْ اتَّبَعَهُ كَمَا قَالَ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (يوسف: ١٠٨). اهـ.

وقد جاء الوعيد فيمن ابتغى بعلمه ودعوته المفاخرة والسمعة وثناء الناس .

ففي صحيح مسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ - وَذَكَرَ مِنْهُمْ - وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأَتَى بِهِ فَعَرَفَهُ نِعَمُهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ

فِي النَّارِ». اهـ.

قول الناظم : (بِالْعِلْمِ وَالْإِشَادِ وَالْإِحْسَانِ)

أي أن دعوتهم إلى الله مبنية على العلم والبصيرة والحكمة والرفق .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ

وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨]

قال الإمام الشنقطي في أضواء البيان (١ / ٤٦٣):

يُشْتَرَطُ فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ أَنْ يَكُونَ لَهُ عِلْمٌ، يَعْلَمُ بِهِ أَنَّ مَا يَأْمُرُ بِهِ مَعْرُوفٌ، وَأَنْ مَا يَنْهَى عَنْهُ مُنْكَرٌ؛ لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ جَاهِلًا بِذَلِكَ فَقَدْ يَأْمُرُ بِمَا لَيْسَ بِمَعْرُوفٍ، وَيَنْهَى عَمَّا لَيْسَ بِمُنْكَرٍ، وَلَا سِيَّمَا فِي هَذَا الزَّمَنِ الَّذِي عَمَّ فِيهِ الْجَهْلُ وَصَارَ فِيهِ الْحَقُّ مُنْكَرًا، وَالْمُنْكَرُ مَعْرُوفًا، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الدَّاعِيَ إِلَى اللَّهِ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ عَلَى بَصِيرَةٍ، وَهِيَ الدَّلِيلُ الْوَاضِحُ الَّذِي لَا لَبْسَ فِي الْحَقِّ مَعَهُ، وَيَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ دَعْوَتُهُ إِلَى اللَّهِ بِالْحِكْمَةِ، وَحُسْنِ الْأَسْلُوبِ، وَاللِّطَافَةِ مَعَ إِیْضَاحِ الْحَقِّ؛

لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ [النحل: ١٢٥]

، فَإِنْ كَانَتْ دَعْوَتُهُ إِلَى اللَّهِ بِقَسْوَةٍ وَعُنْفٍ وَخَرْقٍ، فَإِنَّهَا تَضُرُّ أَكْثَرَ مِمَّا تَنْفَعُ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُسَنَّدَ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ إِسْنَادًا مُطْلَقًا، إِلَّا لِمَنْ جَمَعَ بَيْنَ الْعِلْمِ، وَالْحِكْمَةِ، وَالصَّبْرِ عَلَى أَذَى النَّاسِ. اهـ

صفات أهل هذه المنزلة :

الناصح لله من صفاته الإخلاص، والعلم كما تقدم، والعمل به، والصبر على ما قد يصيبه في سبيل النصح للمسلمين.

قال الله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ١-٣]

قال ابن بطال في شرح صحيح البخارى (١ / ١٣٠):

قال أبو بكر الأجرى: ولا يكون ناصحاً لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم إلا من بدأ بالنصيحة لنفسه، واجتهد في طلب العلم والفقه، ليعرف به ما يجب عليه، ويعلم عداوة الشيطان له وكيف الحذر منه، ويعلم قبيح ما تميل إليه النفس حتى يخالفها بعلم. اهـ

مسألة : مراتب تغير المنكر:

المرتبة الأولى : الإنكار باليد وشروطه :

وهي أقوى مراتب الإنكار وأعلاها، وذلك كإراقة الخمر، وكسر الأصنام المعبودة من دون الله، ومنع من أراد الشر بالناس وظلمهم من تنفيذ مراده

وقد جاء في القرآن الكريم عن إبراهيم - عليه السلام -: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ

لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ۝٥٨﴾ [الأنبياء: ٥٨] فإبراهيم - عليه السلام - كسر الأصنام بيده.

وجاء في صحيح مسلم: عن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - «أنه نزع

خاتم ذهب من يد رجل .»

لكن يشترط في هذه المرتبة أن لا تؤدي إلى مفسدة ومنكر أعظم.

قال النووي في شرحه على مسلم (٢/ ٢٥):

فَإِنْ غَلَبَ عَلَى ظَنِّهِ أَنْ تَغْيِيرُهُ بِيَدِهِ يُسَبِّبُ مُنْكَرًا أَشَدَّ مِنْهُ مَنْ قَتَلَهُ أَوْ قَتَلَ غَيْرَهُ
بِسَبَبِ كَفِّ يَدِهِ أَفْتَصَرَ عَلَى الْقَوْلِ بِاللِّسَانِ وَالْوَعْظِ وَالتَّخْوِيفِ. اهـ

قال شيخ الإسلام في مختصر الفتاوى المصرية (ص ٥٨٠) :

وليس لأحد أن يزيل المنكر بما هو أنكر منه، مثل أن يقوم واحد من الناس يريد أن
يقطع يد السارق ويجلد الشارب، ويقيم الحدود، لأنه لو فعل ذلك لأفضى إلى
الهرج والفساد، لأن كل واحد يضرب غيره ويدعي أنه استحق ذلك، فهذا ينبغي
أن يقتصر فيه على ولي الأمر. اهـ

المرتبة الثانية : الإنكار باللسان :

ويكون بحكمة ورفق إلا إذا دعت الحاجة إلى التغليظ.

فإن ترتب على إنكاره بلسانه مفسدة أعظم انتقل إلى المرتبة الثالثة.

قال النووي في شرحه على مسلم (٢/ ٢٥):

قال القاضي عياض: فَإِنْ خَافَ أَنْ يُسَبِّبَ قَوْلُهُ مِثْلَ ذَلِكَ - من المفسدة - غَيْرَ بِقَلْبِهِ
وَكَانَ فِي سَعَةٍ وَهَذَا هُوَ الْمُرَادُ بِالْحَدِيثِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. اهـ

المرتبة الثالثة: الإنكار بالقلب :

إذا عجز المؤمن عن الإنكار باليد واللسان، انتهى إلى الإنكار بالقلب فيكره المنكر
بقلبه، ويبغض أهله، ويفارق مجلس المنكر، وهذا الواجب لا يسقط عن المؤمن

صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

بوجه من الوجوه، «وذلك أضعف الإيمان» كما أخبر النبي ﷺ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ

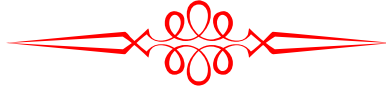
بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ

وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ [النساء: ١٤٠]

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ

غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يَنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٦٨﴾

[الأنعام: ٦٨]



المنزلة الخامسة عشر من منازل السائرين

منزلة تعلقهم بالله فلا يشغلهم عن الخالق مخلوق

١٤- صَحِبُوا الْخَلَائِقَ بِالْجُسُومِ وَإِنَّمَا أَرْوَاهُمْ فِي مَنْزِلٍ فَوْقَانِي

الشرح

أي أنهم لا يشغلهم عن الله شاغل فهم وإن خالطوا الوالدين والأقارب،
والزوجات والأولاد، والأخوة والأصدقاء فهم لا يشغلهم عن الخالق مخلوق،
ولا يليهم عن طاعته مصحوب فهم مع الخلق بأجسادهم ومع الله بأرواحهم.

قال الناظم : (صَحِبُوا الْخَلَائِقَ بِالْجُسُومِ ...)

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لِأَنَّهُمْ مُّؤْمِنُونَ وَلَا أَوْلَدُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ

وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المنافقون: ٩]

قال ابن كثير في تفسيره (٨ / ١٥٧):

يَقُولُ تَعَالَى أَمْرًا لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِكَثْرَةِ ذِكْرِهِ، وَنَاهِيًا هُمْ عَنْ أَنْ تَشْغَلَهُمُ الْأَمْوَالُ
وَالْأَوْلَادُ عَنْ ذَلِكَ، وَخُبْرًا هُمْ بِأَنَّهُ مِنَ الْتَهَى بِمَتَاعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا عَمَّا خُلِقَ
لَهُ مِنْ طَاعَةِ رَبِّهِ وَذِكْرِهِ، فَإِنَّهُ مِنَ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ يُخْسِرُونَ أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ. اهـ

قال ابن القيم في طريق الهجرتين (ص: ٦٣):

فالسعيد الرابع من عامل الله فيهم ولم يعاملهم في الله، وخاف الله فيهم ولم يخفهم
في الله وأرضى الله بسخطهم ولم يرضهم بسخط الله، وراقب الله فيهم ولم يراقبهم

في الله، وآثر الله عليهم ولم يؤثرهم في الله، وأمات خوفهم ورجاءهم وحبهم من قلبه وأحى حب الله وخوفه ورجاءه فيه، فهذا هو الذي يكتب عليهم، وتكون معاملته لهم كلها ربحاً، بشرط أن يصبر على أذاهم ويتخذهم مغنماً لا مغرمّاً وربحاً لا خسراناً.

وجاء في صحيح مسلم: عَنْ حَنْظَلَةَ الْأَسَدِيِّ رحمته الله، قَالَ: - وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم - قَالَ: لَقِيتُنِي أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ؟ يَا حَنْظَلَةُ قَالَ: قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، فَنَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَأَنْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «وَمَا ذَاكَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكُونُ عِنْدَكَ، تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، نَسِينَا كَثِيرًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحْتُكُمْ الْمَلَائِكَةَ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

قول الناظم : (وَإِنَّمَا أَرْوَاهُمْ فِي مَنْزِلٍ فَوْقَانِي)
قال العلامة السعدي في تعليقه:

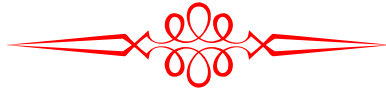
صحبتهم لهم - أي للخلق - بالظاهر والجسم، وأما قلوبهم وأرواحهم: فإنها تجول حول الحبيب، وتطلب من قربهِ أعظم نصيب... اهـ

قال ابن رجب في جامع العلوم (٣ / ١٢٩٤): فإذا قَوِيَ حَالُ المحبِّ ومعرفته، لم يشغله عن الذكر بالقلب واللسان شاغل، فهو بَيْنَ الخلق بجسمه، وقلبه معلق بالمحلِّ الأعلى، كما قال عليٌّ - **رحمته** - في وصفهم:

"صَحِبُوا الدُّنْيَا بِأَجْسَادٍ أَرْوَاهُهَا معلقة بالمحلِّ الأعلى". اهـ

قال ابن القيم في مفتاح دار السعادة (١ / ١٥١):

وَلَا تَبَادُرْ إِلَى انْكَارِ كَوْنِ الْبَدَنِ فِي الدُّنْيَا وَالرُّوحِ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى فَلِلرُّوحِ شَأْنٌ
وَالْبَدَنِ شَأْنٌ وَالنَّبِيِّ كَانَ بَيْنَ أَظْهَرِ أَصْحَابِهِ وَهُوَ عِنْدَ رَبِّهِ يَطْعَمُهُ وَيَسْقِيهِ فَبَدَنِهِ
بَيْنَهُمْ وَرُوحَهُ وَقَلْبَهُ عِنْدَ رَبِّهِ. اهـ



المنزلة السادسة عشر من منازل السائرين إلى الله

منزلة الرعاية أو الاستعانة بالله على تحقيق هذه المنازل خوفاً من النقص في إيمانهم

١٥- راعُوا الْحَقَائِقَ وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهَا خَوْفًا عَلَى الْإِيمَانِ مِنْ نُقْصَانِ

السَّيْرُ

هذا البيت اختلف لفظه في نسخ المنظومة وعلى هذا اللفظ فتكون هذه منزلة الرعاية:

والرعاية المقصود بها الصيانة والحفظ والتعاهد من المؤمن لإيمانه وأعماله، ويتفقد أحواله مع خالقه، ويحرص على صيانة أعماله والحفاظ عليها مما يفسدها أو يبطئها أو يذهب ثوابها أو ينقصه .

قال العلامة السعدي في تعليقه:

هذه منزلة الرعاية لحقائق الإيمان ومشاهد الإحسان؛ وذلك أن العبد لا ينبغي له أن يعرض عن تدبر أحواله، والتفكر في نقص أعماله، بل يبذل جهده قبل العمل، وفي نفس العمل - بتصحيحه وتحسينه -، ثم يصونه عن المفسدات، وينزّهه عن المنغصات، فإن حفظ العمل أعظم من العمل فكلما ازداد العبد رعاية لعمله واجتهادا فيه ازداد إيمانه، وكلما نقص من ذلك نقص من إيمانه بحسبه.

ومن أعظم ما ينبغي مراعاته في العمل مشهد الإحسان، وهو: الحرص على إيقاع العبادة بحضور قلب وجمعيته على الله - وكذلك مراعاة منزلة الشكر ومنزلة الخوف والرجاء. اهـ

قال ابن القيم في مدارج السالكين (٢ / ٦٠).

فَصَلِّ مَنْزِلَةَ الرَّعَايَةِ: وَمِنْ مَنَازِلِ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] مَنْزِلَةَ الرَّعَايَةِ.

وَهِيَ مُرَاعَاةُ الْعِلْمِ وَحِفْظُهُ بِالْعَمَلِ. وَمُرَاعَاةُ الْعَمَلِ بِالْإِحْسَانِ وَالْإِخْلَاصِ. وَحِفْظُهُ مِنَ الْمُفْسِدَاتِ. وَمُرَاعَاةُ الْحَالِ بِالْمُوَافَقَةِ. وَحِفْظُهُ بِقَطْعِ التَّفْرِيقِ. فَالرَّعَايَةُ صِيَانَةٌ وَحِفْظٌ. اهـ

ومن أدلة هذه المنزلة:

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾

﴿٦٧﴾ [الفرقان: ٦٧]

ففي هذه الآيات بيان أن المؤمن ينبغي عليه أن يراعي حاله فيكون على الوسطية والاعتدال فلا إفراط ولا تفريط.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾

[مُحَمَّد: ٣٣]

وفي هذه الآية دليل على أنه ينبغي للمؤمن أن يربا أعماله مما يفسدها ويبطلها أو يذهب ثوابها.

وقوله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَارِعُوهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧]

قال ابن القيم رحمه الله مدارج السالكين (٢/ ٦١):

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ذَمُّ مَنْ لَمْ يَرْعَ قُرْبَةً ابْتَدَعَهَا اللَّهُ تَعَالَى حَقَّ رِعَايَتِهَا؛ فَكَيْفَ بِمَنْ لَمْ يَرْعَ قُرْبَةً شَرَعَهَا اللَّهُ لِعِبَادِهِ، وَأَذِنَ بِهَا وَحَثَّ عَلَيْهَا؟ اهـ

قال صاحب فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب (٦/ ٦٢):

وأجمل ما قيل في هذا المقام قول النبي - ﷺ -: «أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له»، وتأمل في الحديث الآتي بعين البصيرة وأمعن النظر فيه واجعل له من سمعك مسمعا وفي قلبك موقعا عسى الله أن ينفعك بما فيه من غرر الفوائد ودرر الفرائد. اهـ

أي أنه يراعي أن يكون في كل أحواله على كمال الخشية لله والتقوى له.

وجاء هذا البيت في بعض نسخ المنظومة بلفظ:

بالله دَعَوَاتُ الْمُشَاهِدِ كُلُّهَا خَوْفًا عَلَى الْإِيمَانِ مِنْ نُقْصَانِ

فيكون المعنى والله أعلم: أنهم مستعينين بالله على تحقيق هذه المشاهد أي المنازل

التي مرت في المنظومة وذلك لخوفهم من نقص إيمانهم وتقصيرهم.

وهذه منزلة الإستعانة والكلام عليها في مسائل :

تعريف الإستعانة :

لغة : مصدر استعان وهو من العون بمعنى المعاونة والمظاهرة على الشيء، يقال :
فلان عوني أي معيني والاستعانة طلب العون،
واصطلاحاً:

قال ابن تيمية رحمته الله في مجموع الفتاوى (١ / ١٠٣): وَالِاسْتِعَانَةُ طَلَبُ الْعَوْنِ
وَالْمُخْلُوقُ يُطَلَّبُ مِنْهُ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ وَأَمَّا مَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ؛
فَلَا يُطَلَّبُ إِلَّا مِنَ اللَّهِ. اهـ.

قال ابن القيم في مدارج السالكين (١ / ٩٧): الْإِسْتِعَانَةُ : طَلَبُ الْعَوْنِ عَلَى
الْعِبَادَةِ. اهـ.

منزلة الإستعانة :

قال ابن القيم في مدارج السالكين (١ / ١٠٠):
فَأَنْفَعُ الدُّعَاءِ طَلَبُ الْعَوْنِ عَلَى مَرْضَاتِهِ، وَأَفْضَلُ الْمَوَاهِبِ إِسْعَافُهُ بِهَذَا الْمَطْلُوبِ،
وَجَمِيعُ الْأَدْعِيَةِ الْمَأْثُورَةِ مَدَارُهَا عَلَى هَذَا، وَعَلَى دَفْعِ مَا يُضَادُّهُ، وَعَلَى تَكْمِيلِهِ
وَتَيْسِيرِ أَسْبَابِهِ، فَتَأَمَّلْهَا.

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ: تَأَمَّلْتُ أَنْفَعَ الدُّعَاءِ فَإِذَا هُوَ سُؤْلُ
الْعَوْنِ عَلَى مَرْضَاتِهِ، ثُمَّ رَأَيْتُهُ فِي الْفَاتِحَةِ فِي ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾
[الفاتحة: ٥]. اهـ.

قال ابن رجب رحمته الله في جامع العلوم والحكم (١٨٢):

«العبد محتاج إلى الاستعانة بالله في فعل المأمورات وترك المحظورات، والصبر على المقدورات كلّها في الدّنيا وعند الموت وبعده من أهوال البرزخ ويوم القيامة، ولا يقدر على الإعانة على ذلك إلا الله - عزّ وجلّ - . فمن حقّق الاستعانة عليه في ذلك كلّ أعانه الله، ومن ترك الاستعانة بالله واستعان بغيره وكله الله إلى من استعان به، فصار مخذولا وهو كذلك في أمور الدّنيا لأنّه عاجز عن الاستقلال بجلب مصالحه ودفع مضارّه،

ولا معين له على مصالح دينه ودنياه جميعا إلا الله - عزّ وجلّ - فمن أعانه الله فهو المعان ومن خذله الله فهو المخذول. وهذا هو تحقيق معنى قول العبد «لا حول ولا قوّة إلا بالله» .

والمعنى : أنّ العبد لا يتحوّل حاله من حال إلى حال ولا قوّة له على ذلك إلا بالله - عزّ وجلّ - .

قال صاحب مرقاة المفاتيح (٢ / ٦٨٢): قَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ: جَمِيعُ مَنَازِلِ السَّائِرِينَ مَبْنِيٌّ عَلَى إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ. اهـ

وقول الناظم: (خَوْفًا عَلَى الْإِيمَانِ مِنْ نُقْصَانِ).

أي أنهم يتضرعون إلى الله بالدعاء وطلب العون خوفا أن يحصل منهم النقص في إيمانهم.

والكلام على الإيمان في مسائل منها :

تعريف الإيمان لغةً : (الإقرار)

قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٦٣٨ / ٧) :

معلوم أن الإيمان هو الإقرار لا مجرد التصديق . اهـ

والإيمان شرعاً : قول وعمل و اعتقاد يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية . وهذا التعريف أجمع عليه السلف.

قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٦٣٨ / ٧) :

ولهذا كان القول : إن الإيمان قول وعمل، عند أهل السنة من شعائر السنة، و
حكى غير واحد الإجماع على ذلك. اهـ

الأدلة على زيادة الإيمان ونقصانه :

قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَزِدْنَهُمْ هُدًى﴾ ﴿١٣﴾ [الكهف: ١٣]

وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَيَزِدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ [المدثر: ٣١]

و الدليل من السنة على نقصه :

ما جاء في صحيح البخاري : عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «يُخْرَجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزَنُّ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيُخْرَجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزَنُّ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيُخْرَجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزَنُّ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ»

وفي رواية: «مِنْ إِيْمَانٍ مَكَانَ مِنْ خَيْرٍ». «وَفِي قَلْبِهِ وَزَنُّ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيْمَانٍ...»

وما جاء في الصحيحين: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً أَفْضَلُهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَذَانُهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ» .

وما أخرجه مسلم: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ» .

إجماع أهل السنة على أن الإيمان يزيد وينقص :

قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٧ / ٢٢٤):

ثَبَتَ لَفْظُ الزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ مِنْهُ عَنِ الصَّحَابَةِ وَلَمْ يُعْرَفْ فِيهِ مُخَالَفٌ مِنَ الصَّحَابَةِ؛ فَرَوَى النَّاسُ مِنْ وُجُوهِ كَثِيرَةٍ مَشْهُورَةٍ: عَنْ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَنْ جَدِّهِ عُمَيْرِ بْنِ حَبِيبٍ الْخُطَمِيِّ؛ وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: الْإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ؛ قِيلَ لَهُ: وَمَا زِيَادَتُهُ وَمَا نَقْصَانُهُ؟ قَالَ: إِذَا ذَكَّرْنَا اللَّهَ وَحَمِدْنَاهُ وَسَبَّحْنَاهُ فَتِلْكَ زِيَادَتُهُ؛ وَإِذَا غَفَلْنَا وَنَسِينَا فَتِلْكَ نَقْصَانُهُ. اهـ

قال اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (١ / ١٩٨):

قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: سَأَلْتُ أَبِي وَأَبَا زُرْعَةَ عَنْ مَذَاهِبِ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي أَصُولِ الدِّينِ ، وَمَا أَدْرَكَ عَلَيْهِ الْعُلَمَاءُ فِي جَمِيعِ الْأَمْصَارِ ، وَمَا يَعْتَقِدَانِ مِنْ ذَلِكَ ، فَقَالَا: " أَدْرَكْنَا الْعُلَمَاءُ فِي جَمِيعِ الْأَمْصَارِ حِجَازًا وَعِرَاقًا وَشَامًا وَيَمَنًا فَكَانَ مِنْ مَذَاهِبِهِمْ: الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ ،. اهـ

من أعظم أسباب زيادة الإيمان أو نقصانه:

قال ابن القيم في رسالة لأحد إخوانه (ص: ٤٦): وملاك هذا الشأن أَرْبَعَةُ أُمُور: نِيَّةٌ صَحِيحَةٌ، وَقُوَّةٌ عَالِيَةٌ، يِقَارِنُهَا رَغْبَةٌ، وَرَهْبَةٌ.

فَهَذِهِ الْأَرْبَعَةُ هِيَ قَوَاعِدُ هَذَا الشَّأْنِ : وَمَهْمَا دَخَلَ عَلَى الْعَبْدِ مِنَ النَّقْصِ فِي إِيْمَانِهِ وَأَحْوَالِهِ وَظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ فَهُوَ مِنْ نَقْصَانِ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ أَوْ نَقْصَانِ بَعْضِهَا، فَلْيَتَأَمَّلِ اللَّيِّيبُ هَذِهِ الْأَرْبَعَةَ الْأَشْيَاءَ وَلِيَجْعَلْهَا سِيرَهُ وَسُلُوكَهُ وَيَبْنِي عَلَيْهَا عِلْمَهُ وَأَعْمَالَهُ وَأَقْوَالَهُ وَأَحْوَالَهُ فَمَا نَتَجُ مِنْ نَتَجٍ إِلَّا مِنْهَا وَلَا تَخْلُفُ مِنْ تَخْلُفٍ إِلَّا مِنْ فَقْدِهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ. اهـ

قال الشيخ ابن عثيمين في شرح السفارينية (ص: ٤٠٣):

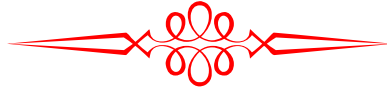
أسباب زيادة الإيمان:

- ١- معرفة أسماء الله وصفاته فإن العبد كلما ازداد معرفة بها وبمقتضياتها، وآثارها ازداد إيماناً بربه وحباً له وتعظيماً.
- ٢- النظر في آيات الله الكونية والشرعية،
- ٣- فعل الطاعة، فإن الإيمان يزداد به بحسب حسن العمل وجنسه وكثرته،
- ٤- ترك المعصية خوفاً من الله عز وجل وكلما قوي الداعي إلى فعل المعصية كانت زيادة الإيمان بتركها أعظم.

وأسباب نقص الإيمان:

- ١- الجهل بالله تعالى وأسمائه وصفاته.
- ٢- الغفلة والإعراض عن النظر في آيات الله وأحكامه الكونية والشرعية.

- ٣- ترك الطاعة فإن الإيمان ينقص به والنقص به على حسب تأكيد الطاعة .
- ٤- فعل المعصية فينقص الإيمان بحسب جنسها، وقدرها، والتهاون بها .
- فأما جنسها وقدرها فإن نقص الإيمان بالكبائر أعظم من نقصه بالصغائر، ونقص الإيمان بقتل النفس المحرمة أعظم من نقصه بأخذ مال محترم، ونقصه بمعصيتين أكثر من نقصه بمعصية واحدة وهكذا . والله أعلم .



المنزلة السابعة عشر من منازل السائرين إلى الله

منزلة التخلص من كل ما يشغلهم عن الله

١٦- عَزَفُوا الْقُلُوبَ عَنِ الشَّوَاعِلِ قَدْ فَرَّغُوا مِنْ سِوَى الرَّحْمَنِ

الشَّيْخُ

أي أن من منازل السائرين إلى الله وصفاتهم التخلص من كل ما يشغلهم عن الله وطاعته وإن كان مما أباح الله وأحله.

قال العلامة السعدي في تعليقه:

أي: فرغوا قلوبهم عن جميع ما يشغل عن الله، ويبعد عن رضاه وهذا حقيقة الزهد. اهـ.

قول الناظم : (عَزَفُوا الْقُلُوبَ)

أي صرفوا قلوبهم،

قال الأزهري في تهذيب اللغة (٢ / ٨٦):

عزف: يُقَالُ عَزَفَتْ نَفْسُهُ عَنِ الشَّيْءِ إِذَا انصرفت عَنْهُ عَزُوفًا. وَرَجُلٌ عَزُوفٌ عَنِ اللَّهِ إِذَا لَمْ يَشْتَهِهِ، وَعَزُوفٌ عَنِ النِّسَاءِ إِذَا لَمْ يَصُبْ إِلَيْهِنَّ. اهـ.

قول الناظم : (وَالْقُلُوبَ)

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (١٤ / ١١٩):

الْقَلْبُ هُوَ الْأَصْلُ فِي جَمِيعِ الْأَفْعَالِ وَالْأَقْوَالِ فَمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ مِنْ الْأَفْعَالِ الظَّاهِرَةِ فَلَا بُدَّ فِيهِ مِنْ مَعْرِفَةِ الْقَلْبِ وَقَصْدِهِ.

قال ابن رجب رحمته الله في جامع العلوم (١/ ٥١٢):

فَإِنَّ الْقَلْبَ هُوَ مَلِكُ الْأَعْضَاءِ، وَهِيَ جُنُودُهُ، فَإِذَا اسْتَقَامَ الْمَلِكُ، اسْتَقَامَتْ جُنُودُهُ وَرَعَايَاهُ. اهـ

مسألة : حكم الإنشغال بالمباحات عن فعل الطاعات؟

قال شيخ الإسلام رحمته الله جامع الرسائل (٢/ ٧٩):

إِنَّ الَّذِي يَنْبَغِي أَنَّهُ لَا يَفْعَلُ مِنَ الْمُبَاحَاتِ إِلَّا مَا يَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى الطَّاعَةِ وَيَقْصِدُ الْإِسْتِعَانَةَ بِهَا عَلَى الطَّاعَةِ فَهَذَا سَبِيلُ الْمُقْرِبِينَ السَّابِقِينَ الَّذِينَ تَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالنَّوَافِلِ بَعْدَ الْفَرَائِضِ وَلَمْ يَزَلْ أَحَدُهُمْ يَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ بِذَلِكَ حَتَّى أَحْبَبَهُ فَكَانَ سَمْعُهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرُهُ الَّذِي يَبْصُرُ بِهِ وَيَدُهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلُهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا. وَأَمَّا مَنْ فَعَلَ الْمُبَاحَاتِ مَعَ الْغَفْلَةِ أَوْ فَعَلَ فَضُولَ الْمُبَاحِ الَّتِي لَا يَسْتَعَانُ بِهَا عَلَى طَّاعَةٍ مَعَ آدَاءِ الْفَرَائِضِ وَاجْتِنَابِ الْمُحَارِمِ بَاطِنًا وَظَاهِرًا فَهَذَا مِنَ الْمُقْتَصِدِينَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ.

وقال رحمته الله: ففضول المباح التي لا تعين على الطاعة عديمها خير من وجودها إذا كان مع عدمها يشتغل بطاعة الله فإِنَّهَا تَكُونُ شَاغِلَةً لَهُ عَنْ ذَلِكَ وَأَمَّا إِذَا قَدَّرَ أَنَّهَا تَشْغَلُهُ عَمَّا دُونَهَا فَهِيَ خَيْرٌ لَهُ مِمَّا دُونَهَا وَإِنْ شَغَلَتْهُ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ كَانَتْ رَحْمَةً فِي حَقِّهِ وَإِنْ كَانَ اسْتِغْالُهُ بِطَاعَةِ اللَّهِ خَيْرًا لَهُ مِنْ هَذَا وَهَذَا.

وَكَذَلِكَ أَفْعَالُ الْغَفْلَةِ وَالشَّهْوَةِ الَّتِي يُمَكِّنُ الْإِسْتِعَانَةَ بِهَا عَلَى الطَّاعَةِ:

كَالنَّوْمِ الَّذِي يَقْصِدُ بِهِ الْإِسْتِعَانَةَ عَلَى الْعِبَادَةِ؛ وَالْأَكْلَ وَالشَّرْبَ وَاللِّبَاسَ وَالنِّكَاحَ الَّذِي يُمَكِّنُ الْإِسْتِعَانَةَ بِهِ عَلَى الْعِبَادَةِ؛ إِذَا لَمْ يَقْصِدْ بِهِ ذَلِكَ كَانَ ذَلِكَ نَقْصًا مِنَ الْعَبْدِ وَفَوَاتٍ حَسَنَةً؛ وَخَيْرٌ يُحِبُّهُ اللَّهُ. اهـ

ومن حيل الشيطان أنه يشغل العبد بالمباحات عن الطاعات كما تقدم.

تنبيه : العبد بنيت الصالحة قد يقلب المباحات إلى طاعات والعبادات إلى عبادات.

قال النووي رحمته الله في شرحه على مسلم (١١ / ٧٧):

وَفِيهِ أَنَّ الْمُبَاحَ إِذَا قُصِدَ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ تَعَالَى صَارَ طَاعَةً وَيُثَابُ عَلَيْهِ وَقَدْ نَبَّهَ صلى الله عليه وسلم عَلَى هَذَا بِقَوْلِهِ صلى الله عليه وسلم حَتَّى اللَّقْمَةُ تَجْعَلُهَا فِي فِي امْرَأَتِكَ لِأَنَّ زَوْجَةَ الْإِنْسَانِ هِيَ مِنْ أَحْصَى حُظُوظِهِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَشَهَوَاتِهِ وَمَلَاذِهِ الْمُبَاحَةِ وَإِذَا وَضَعَ اللَّقْمَةَ فِي فِيهَا فَإِنَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ فِي الْعَادَةِ عِنْدَ الْمُلَاعَبَةِ وَالْمُلَاطَفَةِ وَالتَّلَذُّذِ بِالْمُبَاحِ فَهَذِهِ الْحَالَةُ أَبْعَدُ الْأَشْيَاءِ عَنِ الطَّاعَةِ وَأُمُورِ الْآخِرَةِ وَمَعَ هَذَا فَأَخْبَرَ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ إِذَا قُصِدَ بِهِدِ اللَّقْمَةُ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى حَصَلَ لَهُ الْأَجْرُ بِذَلِكَ فَغَيَّرَ هَذِهِ الْحَالَةَ أَوَّلَى بِحُصُولِ الْأَجْرِ إِذَا أَرَادَ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى ،

وَيَتَضَمَّنُ ذَلِكَ :

أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا فَعَلَ شَيْئًا أَصْلُهُ عَلَى الْإِبَاحَةِ وَقُصِدَ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى يَثَابُ عَلَيْهِ وَذَلِكَ كَالْأَكْلِ بِنِيَّةِ التَّقْوَى عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَالنَّوْمِ لِلِاسْتِرَاحَةِ لِيَقُومَ إِلَى الْعِبَادَةِ نَشِيطًا وَالِاسْتِمْتَاعِ بِزَوْجَتِهِ وَجَارِيَّتِهِ لِيَكْفِيَ نَفْسَهُ وَبَصَرَهُ وَنَحْوَهُمَا عَنِ الْحَرَامِ وَلِيَقْضِيَ حَقَّهَا وَلِيَحْصَلَ وَلَدًا صَالِحًا وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ صلى الله عليه وسلم وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ وَاللَّهُ أَعْلَمُ. اهـ

قول الناظم : (عن الشَّوَاعِلِ كُلِّهَا)

الشَّوَاعِلُ: اسم فاعل من شَغَلَ. وهي ما يملأ فكر الشخص وعقله وقلبه "وشغلتُهُ الشَّوَاعِلُ: انشغل بما هو فيه عن غيره. [راجع معجم اللغة العربية (٢/ ١٢١٤)].

قال الناظم : (قَدْ فَرَّغُوهَا مِنْ سِوَى الرَّحْمَانِ)

في هذا الشطر من البيت أراد الناظم أن يبين أن من منازل السائرين فراغ القلب عن شواغل الدنيا وتعلق القلب بالله عز وجل.
قال ابن القيم في طريق المهجرتين (ص: ٣٠٦):

بالجملة فقلب المحب دائماً في سفر لا ينقضي نحو محبوبه، كلما قطع مرحلة له ومنزلة تبدت له أخرى كما قيل: "إذا قطعت علماً بدا علم"، فهو مسافر بين أهله، وظاعن وهو في داره، وغريب وهو بين إخوانه وعشيرته، ويرى كل أحد عنده ولا يرى نفسه عند أحد.

فقوة تعلق المحب [بمحبوبه] توجب له أن لا يستقر قلبه دون الوصول إليه، وكلما هدأت حركاته وقلت شواغله اجتمعت عليه شئون قلبه، بل قوى سيره إلى محبوبه.

ومحك هذا الحال يظهر في مواطن أربعة :

أحدها : "عند أخذ مضجعه": وتفرغ حواسه وجوارحه الشواغل، واجتماع قلبه على ما يحبه. "فإنه لا ينام إلا على ذكر من يحبه وشغل قلبه به".

الموطن الثانى: "عند انتباهه من النوم"، فأول شيء يسبق إلى قلبه ذكر محبوبه. "فإنه إذا استيقظ وردت إليه روحه رد معها إليه ذكر محبوبه الذى كان قد غاب عنه فى النوم".

الموطن الثالث: "عند دخوله فى الصلاة"، فإنها محك الأحوال وميزان الإيمان، بها يوزن إيمان الرجل و يتحقق حاله ومقامه ومقدار قربه من الله ونصيبه منه، فإنها محل المناجاة والقربة ولا واسطة فيها بين العبد وبين ربه، فلا شيء أقر لعين المحب ولا ألد لقلبه ولا أنعم لعيشه من الصلاة،.. فلا شيء أهم إليه من الصلاة، كأنه فى سجن وضيق وغم حتى تحضر الصلاة فيجد قلبه قد انفسخ وانشرح واستراح، كما قال النبى ﷺ لبلال: «يا بلال، أرحنا بالصلاة»، ولم يقل: أرحنا منها، كما يقول المبطلون الغافلون.

الموطن الرابع: "عند الشدائد والأهوال"، فإن القلب فى هذا الموطن لا يذكر إلا أحب الأشياء إليه، ولا يهرب إلا إلى محبوبه الأعظم عنده... فمن كان مشغولاً بالله وبذكره ومحبته فى حال حياته، وجد ذلك أحوج ما هو إليه عند خروج روحه إلى الله. اهـ

ومن أروع الأمثلة فى تعلق العبد بربه وأن لقائه بالله هو ألد شيء فى حياته هو رسولنا مع محمد ﷺ ولنا فيه الأسوة الحسنة :

والدليل : أخرج ابن حبان بسنده عن عطاء قال : دَخَلْتُ أَنَا وَعُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ عَلَى عَائِشَةَ رضي الله عنها فَقَالَتْ لِعُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ : قَدْ آنَ لَكَ أَنْ تَزُورَنَا فَقَالَ : أَقُولُ يَا أُمُّهُ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ : زُرْ غِبًّا تَزِدُّ حُبًّا قَالَ : فَقَالَتْ : "دَعُونَا مِنْ رَطَاتِكُمْ هَذِهِ" ،

قَالَ ابْنُ عُمَيْرٍ : أَخْبَرِنَا بِأَعْجَبِ شَيْءٍ رَأَيْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : فَسَكَتَتْ ثُمَّ قَالَتْ : لَمَّا كَانَ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي ، قَالَ صلى الله عليه وسلم : «يَا عَائِشَةُ ذَرِينِي أَتَعْبُدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي» .
قُلْتُ : وَاللَّهِ إِنِّي لِأَحِبُّ قُرْبَكَ وَأَحِبُّ مَا سَرَّكَ .

قَالَتْ : فَقَامَ فَتَطَهَّرَ ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي قَالَتْ : فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَ حِجْرِهِ قَالَتْ : ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَ الْأَرْضَ فَجَاءَ بِلَالٌ يُؤَذِّنُهُ بِالصَّلَاةِ فَلَمَّا رَأَاهُ يَبْكِي قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ تَبْكِي وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ؟

قَالَ صلى الله عليه وسلم : «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا» ، لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (١٩٠) ... ﴿الْآيَةُ كُلُّهَا﴾ [آل عمران : ١٩٠] . حسنه الألباني في الصحيحة .

قال ابن القيم في الوابل الصيب (ص : ٤٨) :

والاقبال على الله تعالى والانابة إليه والرضاء به وعنه وامتلاء القلب من محبته واللهج بذكره والفرح والسرور بمعرفته ثواب عاجل وجنة وعيش لا نسبة لعيش الملوك إليه البتة .

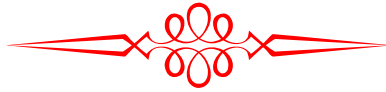
وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: أن في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة.

وقال لي مرة: ما يصنع أعدائي بي؟

أنا جنتي وبستاني في صدري، إن رحمت فتهي معي لا تفارقني، إن حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة.
وكان يقول في محبسه في القلعة: لو بذلت ملء هذه القاعة ذهباً ما عدل عندي شكر هذه النعمة.

أو قال: ما جزيتهم على ما تسببوا لي فيه من الخير، ونحو هذا.

وكان يقول في سجوده وهو محبوس اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ما شاء الله وقال لي مرة: المحبوس من حبس قلبه عن ربه تعالى. والمأسور من أسره هواه. اهـ



المنزلة الثامنة عشر من منازل السائرين إلى الله

أن مقاصدهم وأقوالهم وأفعالهم وسائر أحوالهم لله

١٧- حَرَكَاتُهُمْ وَهُمْوْمُهُمْ وَعَزُومُهُمْ اللَّهُ، لَا لِلْخَلْقِ وَالشَّيْطَانِ

الشرح

أي أن من منازل السائرين إلى الله وصفاتهم أن مقاصدهم وأقوالهم وأفعالهم يكون لله وفي ذات الله وهذه منزلة الإخلاص وقد تقدم الكلام عليها.

قال الله عز وجل: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١١٣) لَا

شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١١٣﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]

قول الناظم : (وَهُمْوْمُهُمْ وَعَزُومُهُمْ)

اهم: هو خاطرة النفس وحديثها.

وهذا لا يؤاخذ عليه العبد إلا إذا قارنه عقد القلب وعزمه وإصراره.

والعزم: هو عقد القلب وإصراره وطلبه للأمر فإن هذا يؤاخذ عليه العبد إذا كان

فيما حرم الله.

قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (١٠ / ٢٩٧)

فأهْمُ "نَوْعَانِ" كَمَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ أَهْمُ هَمَّانِ:

الْجُلُ الزَّاهِرَةُ

هَمَّ خَطَرَاتٍ، وَهَمَّ إِضْرَارٍ، وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا هَمَّ بِسَيِّئَةٍ لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْهِ وَإِذَا تَرَكَهَا لِلَّهِ كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ وَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةٌ» وَإِنْ تَرَكَهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتْرُكَهَا لِلَّهِ لَمْ تُكْتَبْ لَهُ حَسَنَةٌ وَلَا تُكْتَبْ عَلَيْهِ سَيِّئَةٌ، وَيُؤْسَفُ ﷺ "هَمَّ هَمًّا تَرَكَهُ اللَّهُ وَلِذَلِكَ صَرَفَ اللَّهُ عَنْهُ الشُّوَّ وَالْفَحْشَاءَ لِإِخْلَاصِهِ" وَذَلِكَ إِنَّمَا يَكُونُ إِذَا قَامَ الْمُقْتَضِي لِلذَّنْبِ وَهُوَ أَهْمٌ وَعَارَضُهُ الْإِخْلَاصُ الْمَوْجِبُ لِانْصِرَافِ الْقَلْبِ عَنِ الذَّنْبِ لِلَّهِ. فَيُؤْسَفُ ﷺ لَمْ يَصْدُرْ مِنْهُ إِلَّا حَسَنَةٌ يُثَابُ عَلَيْهَا.

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ

مُبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف: ٢٠١]. اهـ

قول الناظم : (لَا لِلْخَلْقِ)

أي أنهم لا يهتمهم نظر الخلق ولا ثنائهم ولا مدحهم فهم لا يريدون بأعمالهم إلا وجه الله،

وقد تقدم الكلام على الرياء وأثره على العمل في منزلة الإخلاص.

قول الناظم : (وَالشَّيْطَانِ)

وكذلك هم حريصون على الحذر من خطوات الشيطان ومكائده التي يفسد بها عمل العبد.

وأسباب التحصن من الشيطان كثيرة نذكر شيئاً منها :

١- أعظم ما يحصن العبد نفسه به من الشيطان الإخلاص :

كما قَالَ اللهُ تَعَالَى عن إبليس: ﴿ قَالَ فَبِعَرْزِكَ لَأُعَوِّبَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ

الْمُخْلِصِينَ ﴿٨٣﴾ [ص: ٨٢-٨٣]

٢- الحرص على ذكر الله وصلاة الليل وصلاة الفجر بعد الاستيقاظ :

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «يَعْقُدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ ثَلَاثَ عُقَدٍ إِذَا نَامَ، بِكُلِّ عُقْدَةٍ يَضْرِبُ عَلَيْكَ لِيلاً طَوِيلاً، فَإِذَا اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، وَإِذَا تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عَنْهُ عُقْدَتَانِ، فَإِذَا صَلَّى انْحَلَّتِ الْعُقْدُ، فَأَصْبَحَ نَشِيطاً طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسَلَانَ» متفق عليه.

٣- الاستئثار ثلاثاً إذا استيقظ من منامه ثلاث مرات،

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ مَنَامِهِ فَلْيَسْتَثِرْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَبِيتُ عَلَى خِيَاشِيمِهِ» متفق عليه.

٤- الحرص على قراءة القرآن لا سيما سورة البقرة :

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ» رواه مسلم .

٥- المحافظة على الأذكار ومنها أذكار الجماع :

عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ، قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ فِي ذَلِكَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَداً» متفق عليه.

٦- المحافظة على ذكر دخول المسجد :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ «إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» قَالَ: «فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ قَالَ الشَّيْطَانُ حَفِظَ مِنِّي سَائِرَ الْيَوْمِ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي الْمَشْكَاةِ.

٧- المحافظة على الذكر عند دخوله وخروجه من منزله وطعامه.

فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ، وَلَا عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ، فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: أَذْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ: أَذْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وكان يقول عند خروجه: عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ يُقَالُ لَهُ حِينَئِذٍ هُدَيْتَ وَكُفِّيتَ وَوُقِيتَ فَيَتَنَحَّى لَهُ الشَّيْطَانُ وَيَقُولُ شَيْطَانُ آخَرُ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِّي وَوُقِيَ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ إِلَى قَوْلِهِ: «الشَّيْطَانُ» وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

٨- المحافظة على آداب الطعام :

ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ، وَإِذَا شَرَبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ، وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ

وجاء عن جابر رضي الله عنه، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه يقول: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَحْضُرُ أَحَدَكُمْ عِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ شَأْنِهِ، حَتَّى يَحْضُرَهُ عِنْدَ طَعَامِهِ، فَإِذَا سَقَطَتْ مِنْ أَحَدِكُمُ اللَّقْمَةُ، فَلْيُمِطْ مَا كَانَ بَهَا مِنْ أَدَى، ثُمَّ لِيَأْكُلْهَا، وَلَا يَدْعُهَا لِلشَّيْطَانِ، فَإِذَا فَرَغَ فَلْيَلْعَقْ أَصَابِعَهُ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ تَكُونُ الْبَرَكَةُ» رواه مسلم.

٩- المحافظة على كف الصبيان وإغلاق الأبواب وتغطية الأنية عند المساء ودخول الليل.

لحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، يقول: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه: «إِذَا كَانَ جُنْحُ اللَّيْلِ - أَوْ أَمْسَيْتُمْ - فَكُفُّوا صَبْيَانَكُمْ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ، فَإِذَا ذَهَبَ سَاعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ فَخَلُّوهُمْ، وَأَغْلِقُوا الْأَبْوَابَ، وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَفْتَحُ بَابًا مُغْلَقًا، وَأَوْكُوا قِرْبَكُمْ، وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، وَخَمِّرُوا آيَتَكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، وَلَوْ أَنَّ تَعَرَّضُوا عَلَيْهَا شَيْئًا، وَأَطْفَأُوا مَصَابِيحَكُمْ». متفق عليه.

١٠- دفع وسواس الشيطان في الصلاة بالتعوذ منه والنفث.

عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه، أتى النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَلَاتِي وَقِرَاعَتِي يَلْبِسُهَا عَلَيَّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه: «ذَلِكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خَنْزَبٌ، فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْهُ، وَاتْفِلْ عَلَى يَسَارِكَ ثَلَاثًا» قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَهُ اللَّهُ عَنِّي. رواه مسلم.

١١- دفع وسواس الشيطان في الرؤيا بالتعوذ منه والنفث.

أَبَا قَتَادَةَ رضي الله عنه، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه يَقُولُ: «الرُّؤْيَا مِنَ اللَّهِ، وَالْحُلُمُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ شَيْئًا يَكْرَهُهُ، فَلْيَنْفُثْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا، فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ» رواه البخاري.

١٢ - المحافظة على التهليل مئة مرة في سائر يومه :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: « مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدَلٌ عَشْرٍ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ وَحُحِبَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ، يَوْمَهُ ذَلِكَ، حَتَّى يُمْسِيَ وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ » متفق عليه .

١٣ - الكظم عند التثاؤب .

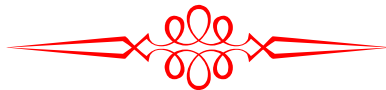
عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « إِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ، فَلْيُمْسِكْ بِيَدِهِ عَلَى فِيهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ » متفق عليه .

١٤ - قراءة آية الكرسي عند النوم :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: وَكَلَّنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ، فَجَعَلَ يَخْتُو مِنْ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَا زُفْعَنَكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَصَّ الْحَدِيثَ، فَقَالَ: إِذَا أُوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ، لَنْ يَزَالَ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرُبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، ذَاكَ شَيْطَانٌ » رواه البخاري .

١٥ - صلاة أربع ركعات اول النهار بنية الضحى :

عَنْ نَعِيمِ بْنِ هَمَّارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: « يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا ابْنَ آدَمَ! لَا تُعْجِزْنِي مِنْ أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ؛ أَكْفِكَ آخِرَهُ » . صحيح سنن أبي داود .



المنزلة التاسعة عشر من منازل السائرين إلى الله

منزلة مرافقة ومجالسة الصالحين

١٨- نِعَمَ الرَّفِيقُ لِطَالِبِ السُّبُلِ الَّتِي تُفْضِي إِلَى الْخَيْرَاتِ وَالْإِحْسَانِ

الشرح

أي أن من اتصف بهذه الصفات هم نعم الرفقة الذين يتخذهم السائر إلى الله عدة تعينه في السير إلى الله والدار الآخرة.

وفيه إشارة أيضاً أن من صفات السائرين إلى الله الحرص على مرافقة ومجالسة الصالحين. لأنهم نعم المعين.

قوله : (نعم الرفيق)

الرفيق: المرافق وقيل: هو صاحب في السفر خاصة.

وقيل: إذا عدا الرجلان بلا عمل فهما رفيقان، فإن عملا على بعيريهما فهما زميلان،

فإذا تفرقا ذهب اسم الرفقة ولا يذهب اسم الرفيق،

وهو أيضاً: للواحد والجميع مثل: الصديق، والخليط،

والحديث: «بل الرفيق الأعلى من الجنة». راجع تاج العروس.

قال النووي على شرح مسلم (١٥ / ٢٠٨)

الرفيق الأعلى: الصحيح الذي عليه الجمهور أن المراد بالرفيق الأعلى الأنبياء

الساكئون أعلى عليين.

وَلَفْظَةُ رَفِيقٍ تُطْلَقُ عَلَى الْوَاحِدِ وَالْجَمْعِ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩] اهـ.

قول الناظم : (إِطَالِبِ السَّبِيلِ)

قال ابن حجر في فتح الباري (١ / ١٢٩):

السبل: أي الطرق وسبيل الله طاعته والسبيل في الأصل الطريق، ويذكر ويؤنث والتأنيث أكثر، وسبيل الله عام: يقع على كل عمل خالص أريد به التقرب إلى الله تعالى بأنواع الطاعات. اهـ.

قول الناظم : (الَّتِي .. تَفْضِي إِلَى الْخَيْرَاتِ وَالْإِحْسَانِ).

في هذا الشطر من البيت يبين الناظم ثمرة مرافقة الصالحين وأنها تفضي إلى حصول الخير والفلاح له في الدنيا والآخرة.

الأدلة الآمرة بالحرص على مجالسة الأخيار والإعراض عما سواهم كثيرة منها:

﴿قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾﴾ [الزخرف: ٦٧]

﴿قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾﴾ [التوبة: ١١٩]

﴿قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾﴾ [الكهف: ٢٨]

قال العلامة السعدي في تفسيره:

يأمر تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وآله وسلم، وغيره أسوته، في الأوامر والنواهي - أن يصبر نفسه مع المؤمنين العباد المنيين: ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ [الكهف: ٢٨] أي: أول النهار وآخره يريدون بذلك وجه الله، فوصفهم بالعبادة والإخلاص فيها، ففيها الأمر بصحبة الأخيار، ومجاهدة النفس على صحبتهم، ومخالطتهم وإن كانوا فقراء فإن في صحبتهم من الفوائد، ما لا يحصى. اهـ

ومن السنة :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِطُ» وَفِي لَفْظٍ: «مَنْ يُخَالِلُ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

قال العثيمين في شرح رياض الصالحين (٣ / ٢٤٦):

يعني أن الإنسان يكون في الدين، وكذلك في الخلق على حسب من يصاحبه، فلينظر أحدكم من يصاحب، فإن صاحب أهل الخير؛ صار منهم، وإن صاحب سواهم؛ صار مثلهم. اهـ

قال صاحب منار القاري (٥ / ١٧٥):

دل هذا الحديث على الترويب في مجالسة أهل الفضل، لأنهم يسعد بهم جلسهم، فإن كانوا علماء استفاد منهم علماً، وإن كانوا صلحاء استفاد منهم صلاحاً، وإن

كانوا أبطالاً استفاد منهم شجاعة، لأن الأخلاق والمواهب والعلوم والمعارف والمهارات والآداب تتلاقح ويتأثر بعضها ببعض. اهـ

ومن الأحاديث: عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّمَا مَثَلُ الْجُلُوسِ الصَّالِحِ، وَالْجُلُوسِ السَّوِّءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِنَّمَا أَنْ يُخْذِيكَ، وَإِنَّمَا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِنَّمَا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخِ الْكِيرِ: إِنَّمَا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِنَّمَا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً» متفق عليه.

قال النووي على شرح مسلم (١٦ / ١٧٨):

(باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء): فِيهِ تَمْثِيلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْجُلُوسِ الصَّالِحِ بِحَامِلِ الْمِسْكِ وَالْجُلُوسِ السَّوِّءِ بِنَافِخِ الْكِيرِ، وَفِيهِ فَضِيلَةُ مُجَالَسَةِ الصَّالِحِينَ وَأَهْلِ الْخَيْرِ وَالْمُرُوءَةِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَالْوَرَعِ وَالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ، وَالنَّهْيُ عَنْ مُجَالَسَةِ أَهْلِ الشَّرِّ وَأَهْلِ الْبِدْعِ وَمَنْ يَغْتَابُ النَّاسَ أَوْ يَكْثُرُ فُجْرُهُ وَبَطَالَتُهُ وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنَ الْأَنْوَاعِ الْمَذْمُومَةِ. اهـ

ومن الأحاديث:

حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا يَقُولُ فِي مَنْ جَالَسَ الصَّالِحِينَ جَلْسَةً وَاحِدَةً وَلَيْسَ هُوَ مِنْهُمْ: «فَأَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ» قَالَ: «يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: فِيهِمْ فَلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ. قَالَ: هُمْ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ» متفق عليه.

وفي لفظ مسلم : فيقول : « قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا ، وَأَجَزْتُهُمْ مِمَّا اسْتَبَارُوا » ، قَالَ : فيقولون : رَبِّ فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَاءٌ ، إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ ، قَالَ : فيقول : « وَلَهُ غَفَرْتُ لَهُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ » .

فإذا كان هذا الرجل نال هذه الفضيلة بجلسة واحدة مع الصالحين وهو ليس منهم فكيف بمن يكون هذا دأبه وعادته مع حرصه على طاعة الله والاستعداد للقاء الله فلا شك أنه أحرى بهذا الفضل وهذا الأجر . والله أعلم .

فائدة : ومن ثمار مجالسة الصالحين ومحبتهم في الله :

١- أن لهم منابر من نور يوم القيامة :

عن مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رحمته الله قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : « قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : »
الْمُتَحَابُّونَ فِي جَلَالِي لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ يَغِطُّهُمْ النَّيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ « صححه
الألباني

٢- نيل محبة الله :

عن مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رحمته الله قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ : « قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : »
وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ « أخرجه مالك
وصححه الألباني .

٣- يظلمهم الله تحت ظل عرشه :

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رحمته الله ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ : إِمَامٌ عَدْلٌ ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ

وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِئًا لَهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ «متفق عليه.

٤- أن محبة الصالحين من أسباب وجود خلاوة الإيمان:

كما جاء في الصحيحين عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلی الله علیہ وسلم قَالَ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ».

قوله: (وجد خلاوة الإيمان): أي انشرح صدره للإيمان وتلذذ بالطاعة وتحمل المشاق في الدين .

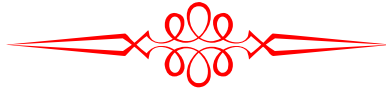
٥- نيل شفاعة الصالحين:

لما جاء في البخاري: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه في حديث الشفاعة الطويل وفيه أن المؤمنين يشفعون في إخوانهم الذين سقطوا في جهنم فيقولون: «رَبَّنَا إِخْوَانُنَا، كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا، وَيُصُومُونَ مَعَنَا، وَيَعْمَلُونَ مَعَنَا، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: "اذْهَبُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، وَيُحَرِّمُ اللَّهُ صُورَهُمْ عَلَى النَّارِ"، فَيَأْتُونَهُمْ وَبَعْضُهُمْ قَدْ غَابَ فِي النَّارِ إِلَى قَدَمِهِ، وَإِلَى أَنْصَافِ سَاقِيهِ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا، ثُمَّ يَعُودُونَ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا، ثُمَّ يَعُودُونَ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا».

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَإِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي فَأَقْرَءُوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠]، "فَيَشْفَعُ النَّبِيُّونَ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ، ... الحديث"

قال ابن قدامة في مختصر منهاج القاصدين (ص: ٩٩):

قال بعض السلف: استكثروا من الإخوان، فإن لكل مؤمن شفاعة. اهـ



الخاتمة

فهذه منازل عظيمة وصفات جليلة ينبغي أن يتحلى بها كل من أراد الله والدار الآخرة ، فيا سعادة وريح من تحلى بها وأخذها بحزم وعزم طالبا بها رضا الله كما **قَالَ اللَّهُ تَعَالَى** لِمُوسَى حِينَ آتَاهُ التَّوْرَةَ: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ [الأعراف: ١٤٥]

فنسأل الله أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته وأن يجعلنا ممن قال فيهم: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ ۝١٨﴾ [الزُّمَر: ١٨]

فَهَذَا مَضْمُونُ هَذِهِ الْمَنْظُومَةِ الْمُبَارَكَةِ :

قد جلي لك، وهذه عرائس مَعَانِيهَا قد زفت إِلَيْكَ وخود أبقارها البديعة الجمال
ترفل في حللها بين يديك فإما شمس منازلها بِسَعْدِ الاسعد عليك،
وإما كما قال ابن القيم في الكافية الشافية (ص: ٣٥٤):

جليت عليك عرائس والله لو	تجلى على صخر من الصوان
لكن قلبك في القساوة جاز حد	الصخر والحصباء في أشجان
لو هزك الشوق المقيم وكنت ذا	حسن لما استبدلت بالأهوان
أو صادفت منك الصفات حياة	قلب كنت ذا طلب لهذا الشأن

خود تزف إلى ضرير مقعد يا محنة الحسناء بالعميان
شمس لعين تزف إليه ما ذا حلية العين في الغشيان
يا سلعة الرحمن لست رخيصة بل أنت غالية على الكسلان
يا سلعة الرحمن ليس ينالها في الألف إلا واحد لا اثنان
يا سلعة الرحمن ماذا كفوها إلا أولو التقوى مع الإيمان

فاختر لنفسك: احدى الخطتين وانزلها فيما شئت من المنزلتين .

"نسأل الله أن يوفقنا وإياكم وجميع المسلمين لكل خير"،

وأن يغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات.

كان الفراغ والله الحمد من التعليق عليها

ليلة الجمعة ٣ / صفر / ١٤٤٣ هـ

خلال الرحلة إلى الديار المصرية

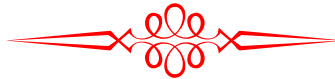
نسأل الله أن ينفع به كاتبه وقارئه ومعلمه ومتعلمه في الدارين

إنه ولي ذلك والقادر عليه.

إشترك في كتابته وجمعة:

أبو عامر عبد الله بن أحمد الحكمي / وأم عامر المروعية

كان الله لهما في الدارين ونفع بهما.



الفهرس

١	مُقَدِّمَةُ الْكِتَابِ
٤	ترجمة مختصرة للإمام السعدي <small>رحمته الله</small>
٨	نص المنظومة
٩	شرح عنوان المنظومة
١١	المنزلة الأولى من منازل السائرين إلى الله
١١	منزلة الابتعاد عن سُبُل الضلال الغواية ، واتباع طُرُق النعيم والهداية
١٩	المنزلة الثانية والثالثة من منازل السائرين إلى الله
١٩	منزلة الإخلاص لله ، والإتباع لهدي رسول الله <small>صلى الله عليه وعلى آله وصحبه</small>
٢٦	المنزلة الرابعة والخامسة من منازل السائرين إلى الله
٢٦	منزلة الرجاء ، والخوف
٣٧	المنزلة السادسة من منازل السائرين إلى الله
٣٧	منزلة المحبة
٤٥	المنزلة السابعة من منازل السائرين إلى الله
٤٥	منزلة الذكر
٥٤	المنزلة الثامنة من منازل السائرين إلى الله
٥٤	منزلة اعترافهم بتقصيرهم في طاعة الله
٥٩	المنزلة التاسعة من منازل السائرين إلى الله
٥٩	منزلة الصبر
٦٥	المنزلة العاشرة من منازل السائرين إلى الله

- منزلة الرضا..... ٦٥
- المنزلة الحادية عشر من منازل السائرين إلى الله..... ٧١
- منزلة الشكر..... ٧١
- المنزلة الحادية عشر من منازل السائرين إلى الله..... ٧٧
- منزلة التوكل..... ٧٧
- منزلة الإحسان..... ٨٤
- المنزلة الرابعة عشر من منازل السائرين..... ٩٣
- منزلة النصح للمسلمين..... ٩٣
- المنزلة الخامسة عشر من منازل السائرين..... ١٠٤
- منزلة تعلقهم بالله فلا يشغلهم عن الخالق مخلوق..... ١٠٤
- المنزلة السادسة عشر من منازل السائرين إلى الله..... ١٠٧
- منزلة الاستعانة بالله على تحقيق هذه المنازل خوفا من النقص في إيمانهم..... ١٠٧
- المنزلة السابعة عشر من منازل السائرين إلى الله..... ١١٦
- منزلة التخلص من كل ما يشغلهم عن الله..... ١١٦
- المنزلة الثامنة عشر من منازل السائرين إلى الله..... ١٢٣
- أن مقاصدهم وأقوالهم وأفعالهم وسائر أحوالهم لله..... ١٢٣
- المنزلة التاسعة عشر من منازل السائرين إلى الله..... ١٢٩
- منزلة مرافقة ومجالسة الصالحين..... ١٢٩
- الخاتمة..... ١٣٦
- الفهرس..... ١٣٨